الرحلة إلى اليابان

١ الرحلة الأولى إلى اليابان[1]

ما إن بدأ العام الدراسي ١٤٢٥/١٤٢٦هـ حتى علمت عن مؤتمر يعقد في اليابان بعنوان: (المؤتمر العالمي التاسع عشر للرابطة الدولية لتاريخ الأديان) في الفترة من ٢٤ إلى ٣٠ مارس ٢٠٠٤، فقدمت إلى جامعة الملك سعود بطلب الإذن، وكما يقولون وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى؛ لأن تجاربي السابقة أفقدتني الرغبة في حضور المؤتمرات بإذن من جامعتي أو بتمويل منها. وشاء الله أن تأتي الموافقة، فأعددت البحث بعد أن قُبِلَ ملخصه. أما علمي عن المؤتمر فقد كنت أحضر مؤتمراً في جامعة ليدن في أواخر عهدي بجامعة الإمام فوجدت مطوية عن المؤتمر.

وعندما حصلت على الموافقة من الجهة المنظمة للمؤتمر على موضوعي المعنون بـ (العولمة والهوية الإسلامية)، الذي تناولت فيه قضية العولمة، والحرب على الهويات القومية والهويات الدينية، وإذابة

---

[1] قمت بهذه الرحلة في مارس ٢٠٠٤م.

obeikandl.com

الشعوب المختلفة في الهوية الأمريكية والغربية. عزمت على المشاركة والسفر إلى اليابان - وهو بلد بعيد - فكان لا بد من السفر عن طريق بلد متوسط، فكانت هونج كونج Hong Kong، التي تتوقف فيها خطوط كاثي باسفيك . Cathay Pacific Airways التي سافرت عليها. وكانت قد تأخرت في إقلاعها من الرياض، فكان الوقت المخصص للانتقال إلى الطائرة المقبلة إلى طوكيو قليلاً وسرت مسرعاً، وإن كنت قد وجدت مساعدة من موظفي الشركة، لعلمهم بوجود ركاب يواصلون إلى اليابان وإلى مناطق أخرى.

وصلت اليابان فكان عليَّ الذهاب إلى الفندق: إما بسيارة أجرة ويكلف استخدامها أكثر من مائة دولار، أو حافلة بثلاثين دولاراً، لذلك اخترت الحافلة، وكنت أعرف اسم الفندق -الذي حجزت فيه عن طريق الإنترنت -فأنزلني سائق الحافلة في الجهة المقابلة من الفندق، ومشيت بضع خطوات إلى الفندق. وكانت الغرفة صغيرة على الرغم من أن الأجرة لم تكن متواضعة، فاليابان من أغلى بلاد العالم، حيث إن فنجان القهوة في الفندق يصل إلى نحو أربعين ريالاً.

خرجت من الفندق لأتعرف على المناطق المحيطة وكذلك الطريق إلى مكان انعقاد المؤتمر، الذي تبين لي أنه ليس بعيداً، لكنه كان يتضمن بعض الصعود، ولكنه مشوار محتمل.

ما إن ركبت الحافلة حتى لاحظت أن السائق يجلس على يمين السيارة، أي أن السير سيكون على اليسار، فتعجبت: لماذا اختارت اليابان هذه الطريقة؟ هل أراد اليابانيون أن يخالفوا الأمريكيين؟

كان من أول أعمالي هناك زيارة جامعة طوكيو لمقابلة البروفيسور يامائوتشي الذي زار المملكة، فقابلته للتعرف على الدراسات الإقليمية في اليابان. وكان البروفيسور قد شارك في ندوة عن الدراسات العربية والإسلامية في اليابان عقدت في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عام ٢٠٠٣م، وكنت مدير إحدى جلسات الندوة. وكان اللقاء مع يامائوتشي في الرياض مهماً، لأنني اطلعت على شروط القبول في الدراسات الإقليمية، ومنها أنه لابد أن يكون الطالب قادراً على دراسة اللغات الأجنبية، ويتمتع بشخصية تقبل التحديات، وأن يكون ذا طموح وذكاء، وتذكرت القبول في بعض الجامعات لدينا ، فكان من الشروط أن يكون مرضياً عند الإدارة، أما إتقان لغة أجنبية أو القدرة على ذلك فأمر يمكن التسامح فيه. وبالنسبة للروح الطموحة والقابلية للتحديات فأمر لا داعي له مطلقاً؛ لذلك لم ينجح القسم في تخريج الباحثين الذين يمكن أن يواصلوا دراساتهم بطريقة ناجحة.

سألتُ موظفة الاستقبال عن جامعة طوكيو. فقالت: إنها في منطقة تدعى ميجرو، فأخذت خارطة قطارات الأنفاق، فعرفت الاتجاه واشتريت التذكرة وركبت القطار، وصرت كلما قطع محطة قمت إلى الخريطة خوفاً أن أكون ركبت القطار الخطأ، حتى وصلت إلى منطقة بعيدة في طوكيو، وخرجت أبحث عن الجامعة، وسألت عن الكلية التي جئت إليها. فقيل لي: هنا كلية الزراعة، وكلية الهندسة أما الآداب والفنون ففي مكان آخر في طوكيو، وسألني حارس أمن: ألديك موعد مع البروفيسور يامائوتشي؟ وتعجبت لماذا يسألني حارس أمن في كلية الهندسة أو الزراعة

عن موعدي مع أستاذ في كلية الاقتصاد والإدارة، ولكن يبدو أحياناً أن طبيعة الوظيفة تفرض نوعاً من التدخل في شؤون الآخرين، فقط لإزجاء الفراغ أو لإضفاء أهمية على وظيفته. ومع ذلك أجبته: نعم، قال: هو ليس في هذا العنوان. فاضطررت إلى أخذ تاكسي حتى ألحق الموعد، وكلفني التاكسي ما لا يقل عن أربعين دولاراً. ووصلت تقريباً في الموعد، حتى إذا كنت عند باب الكلية اتصلت من عند الأمن لأخبر الدكتور أنني وصلت متأخراً لخطأ في العنوان. وكنت في اليوم السابق قد سألته: كم يستغرق الوصول إليك من الوقت؟ قال: ربع ساعة، ولكن العنوان الذي أعطتني إياه موظفة الفندق استغرق أكثر من أربعين دقيقة. وقد كان الموعد الساعة الحادية عشرة صباحاً، فخرجت من الفندق الساعة الثامنة والنصف، لذلك فقد كنت محتاطاً لمثل هذا الضياع. وكما يقول المثل: «الغريب أعمى ولو كان بصيرًا». وقد أعجب البروفيسور خروجي المبكر من الفندق تحسباً لأي طارئ مثل الضياع.

كان اللقاء في مبنى ١٤ من كلية الآداب والإدارة، وأخبرني أنه في الطابق الخامس، ولما صعدت وتجولت في الطابق لم أجد اسمه فنزلت إلى الطابق الرابع فوجدت مكتبه. وبعد الترحيب والسؤال شاهدت المبنى الجديد للدراسات الإقليمية، وكان بعض الأساتذة قد تسلم مكتبه الجديد، وكان بعضهم يرتب الكتب، فإذا بالمكاتب واسعة جداً، ويمكن للأستاذ أن يقوم بأبحاثه في مكتبه، ويبقى فيه وقتاً طويلاً، وليست مثل مكاتب أعضاء هيئة التدريس في بعض الجامعات العربية، حيث يحشر عدد من الأساتذة في مكتب واحد، بل أتذكر إحدى الجامعات اشترت

طاولات للأساتذة ربما كلف المكتب الواحد أكثر من عشرين ألفاً، ولكنه يشترك في المكتب مع ثلاثة أو أربعة من الأساتذة.

وفي هذه الزيارة أطلعني على مكتبة الدراسات الإقليمية، فوجدتها مكتبة ضخمة، وفيها مجموعات قد لا توجد في بعض الدول الأوروبية، وكانت عن اليونان والرومان وأوروبا المعاصرة. وأخبرته أننا إذا أنشأنا دراسات إقليمية يوماً ما سنحتاج إلى مثل هذه التجهيزات ونطلب مساعدتكم.

أعطيت البروفيسور يامائوتشي نسخة من مشروعي الذي أطلق عليه الدكتور يحيى محمود بن جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (مشروع الدكتور مازن لإنشاء الدراسات الإقليمية ومراكز البحوث في الجامعات السعودية)- وكان الأولى أن يسمى مشروع مركز الملك فيصل لإنشاء الدراسات الإقليمية- وكانت السفارة اليابانية قد ترجمت الفصل الخاص بالتجربة اليابانية.

دعاني البروفيسور إلى طعام الغداء، وكانت وجبة لذيذة من سمك السلمون بعكس الطعام الياباني، الذي وجدت صعوبة في تقبل مذاقه، على الرغم من أنهم يقولون: إنه طعام صحي. لاحتوائه على المواد الغذائية المختلفة.

ثم كانت لي زيارة للمؤسسة اليابانية (Japan Foundation)، حيث التقيت المدير المسؤول عن قسم الشرق الأوسط، وقد درس العلاقات الدولية في أمريكا، ولغته الإنجليزية واضحة بعكس كثير من اليابانيين.

واسم هذا المسؤول ياشيدا Yashida، كما قابلت موظفاً آخر اسمه ساتو، وتحدثنا عن أعمال المؤسسة اليابانية وأهدافها في نشر الثقافة اليابانية في الخارج، وتشجيع التبادل الثقافي والعلمي مع الدول الأخرى، وأخبرته عن برنامج الزائر الدولي في وزارة الخارجية الأمريكية، وأنه أتاح لي الاطلاع على الدراسات الشرق أوسطية وبعض مراكز البحوث في الولايات المتحدة الأمريكية، وكأنني كنت ألمح لهم أنني بحاجة إلى دعوة مماثلة في المستقبل.

وأحب أن أتوقف هنا إلى أن الأستاذ الجامعي قد يسافر من بلده إلى بلاد بعيدة لحضور مؤتمر، ويكون كل همه أن يحضر بعض فعاليات المؤتمر، ويقضي الوقت الباقي في التسلية والترفيه والأسواق. ولكني أحمد الله عز وجل أن جعل من حضور المؤتمر مشروعاً متكاملاً للإفادة من الوقت كله، حتى إني ربما أضفت يوماً أو يومين أو ثلاثة لتحقيق هذه الأهداف. وهي بلا شك ليست مما هو مكتوب في الإذن بحضور المؤتمر، الذي يكتفي بعض الأساتذة بالحصول على شهادة الحضور، ولا يهمه مدى إفادته من المؤتمر أو من الزيارة عموماً.

مؤتمر في اليابان حول الأديان

كان سفري إلى اليابان كما أوضحت سابقاً لحضور المؤتمر الدولي التاسع عشر للرابطة العالمية لدراسات تاريخ الأديان، والرابطة مؤسسة تعنى بالأديان عموماً. وقد تأسست رابطة تاريخ الأديان عام ١٩٥٠م بمناسبة انعقاد المؤتمر السابع العالمي لتاريخ الأديان الذي عقد في أمستردام، حيث كانت سلسلة هذه المؤتمرات قد بدأت في باريس عام ١٩٠٠م. وتهدف إلى تشجيع البحث العلمي في دراسة الأديان من خلال التعاون الدولي بين أولئك الذين لهم تأثير في الساحة الثقافية الدولية. وتتكوّن الرابطة من مؤسسات علمية لدراسة الدين في مختلف بلاد العالم.

وهي تضم في عضويتها ثلاثاً وأربعين رابطة من مختلف أنحاء العالم مثل: أستراليا، والبرازيل، وكندا، والصين، وكوبا، وجمهورية التشيك، والدنمارك، وفنلندا، وغيرها، وأخيراً انضمت رابطتان من بلدين إسلاميين هما إندونيسيا وتركيا.

obeikandl.com

كما أنها عضو في المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ضمن منظمة اليونسكو، وتعمل بوصفها منسقاً للأنشطة الشبيهة. ولها أنشطة عدة من أهمها: المؤتمر العالمي الذي يعقد كل خمس سنوات، بالإضافة إلى مؤتمرات فرعية تعقد من حين لآخر في أماكن مختلفة من العالم، لتوثيق صلتها بالهيئات والمؤسسات المثيلة.

ويتكون هيكل الرابطة من الآتي:

- الجمعية العمومية، وتجتمع مرة كل خمس سنوات خلال المؤتمرات الرئيسة.
- اللجنة الدولية، وتجتمع خلال كل مؤتمر رئيس، وهي التي تنتخب الأعضاء الاثني عشر لمدة خمس سنوات.
- اللجنة التنفيذية، وتتكون من اثني عشر عضواً يُنتخبون من قبل اللجنة الدولية، ليمثلوا مناطق العالم الجغرافية المختلفة من أكاديميين متخصصين في الدراسات الدينية.

أنشطة الرابطة في مجال النشر:

تنشر الرابطة مجلة بعنوان Numen. International Review for History of Religions ، وتتولى نشرها مؤسسة بريل Brill بهولندا، كما أن للرابطة سلسلة كتب ظهر منها ثمانون كتاباً حتى الآن. كما تُشرف الرابطة على كتاب نصف سنوي بعنوان: (علم الدين)، وهو عبارة عن مستخلصات للمقالات والبحوث الحديثة في مجال العلوم الدينية. كما تصدر الرابطة نشرة وفقاً للمناسبات تتناول أخبار الرابطة، ويمكن الحصول عليها من موقع الرابطة www.iahr.dk

والرئيس الشرفي للمؤتمر: الأمير الياباني ميكاسا Mikasa الذي ترأس المؤتمر التاسع، الذي عقد في اليابان عام ١٩٥٨م، وشارك في العديد من المؤتمرات، وقام بدراسة الأديان دراسة علمية، وكان أول رئيس لجمعية دراسات الشرق الأدنى، التي أسست في اليابان عام ١٩٥٤م، وله كتابات مهمة في هذا المجال.

وقد تم تنظيم المؤتمر التاسع عشر برعاية:

- المجلس العلمي الياباني.
- المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية.
- الرابطة اليابانية لدراسات الأديان.
- المؤسسة اليابانية Japan Foundation.[1]

التنظيم الأساسي للمؤتمر:

يتكون المؤتمر من ستة أنشطة أساسية هي:

- الندوة الافتتاحية، وكانت بعنوان: «الأديان والحوار بين الحضارات»، وتناولت ما يمكن أن تقدمه الأديان للسلام في العالم، وما يمكن أن تقدمه الدراسات العلمية في هذا المجال.
- الجلسات العامة، وتحدّث في كل جلسة باحث متميز في أحد محاور المؤتمر الستة.

---

(١) وقد تأسست عام ١٩٧٢م بصفتها ذات شخصية قانونية اعتبارية لتتولى مسؤولية التبادل الثقافي، وأصبحت مؤسسة مستقلة في أكتوبر عام ٢٠٠٣م، ومن أبرز أهدافها ما يأتي:

- تشجيع التبادل الثقافي والفني.
- تشجيع تعليم اللغة اليابانية والتبادل العلمي والثقافي.
- تشجيع الدراسات اليابانية لما وراء البحار.
- تشجيع تبادل المعلومات مع الدول الأخرى والتبادل الثقافي.

openkanar.com

- الحلقات المنظمة، وتناولت الأديان في اليابان.
- الحلقات العلمية.
- الأوراق الفردية.
- حلقات البحث المستديرة.

محاور المؤتمر:

يتكون المؤتمر من ستة محاور هي:

١- الأبعاد الدينية للحرب والسلام.

٢- التقنية.

٣- الموت والحياة.

٤- الأديان العالمية والثقافات المحلية.

٥- الحدود والتمييز.

٦- المنهج والنظرية في دراسات الدين.

أنشطة ثقافية

تضمن المؤتمر عدداً من المناشط الثقافية منها:

- حفل استقبال عام لجميع المشاركين في المؤتمر الذين نَيَّفَ عددهم على الألف وسبعمائة.
- فقرة فنية للرقص الياباني القديم، وفقرة لعازف عود عربي من حلب -سوريا- ، هو محمد قدري دلال.
- حفل استقبال للمشاركين من رابطات شرق آسيا (بدعوة).
- حفل استقبال للرابطة الأفريقية لدراسات الأديان (بدعوة خاصة).

obeikandl.com

- حفل عشاء عام يوم ٢٩ مارس ٢٠٠٥م.
- معارض كتب، شارك عدد من دور النشر العالمية منها: برل E.j Brill. وروتلدج Routledge، بالإضافة إلى دور نشر يابانية مهتمة بدراسات الأديان.

وقائع المؤتمر:

تقديم:

أكد هذا المؤتمر أهمية الدين ودراسته في العالم، وذلك من خلال العدد الكبير من الباحثين والمؤسسات والرابطات المهتمة بالدين. كما أن اتساع نطاق البحوث حول الدين وقضاياه المختلفة وتأثيره في حياة البشر يؤكد: أن التدين فطرة أساسية[1].

في بداية المؤتمر حاولت أن أعرف الجلسة التي أدرج فيها بحثي فلم أجد اسمي، فراجعت رئاسة المؤتمر لإدراجي، وتنقلت من مسؤول إلى مسؤول حتى أدرج بحثي في إحدى الجلسات، وأحسست حقاً بأنني في الشرق لوجود بعض الفوضى، وربما كانت ضخامة المؤتمر هي السبب في بعض الأخطاء.

---

(١) ومن العجيب أنه بعد سنتين تقريباً من هذا المؤتمر كنت في بيروت في المؤتمر السنوي لمعهد فنون الاتصال بالجامعة اللبنانية الأمريكية، فتحدث مدير المعهد الدكتور رامز معلوف مشيراً إلى أن الدين ليس له أثر في الحياة الاجتماعية، وأشار إلى عالم اجتماع أمريكي، بل أضاف قائلا: إن الأديان من أبرز أسباب المشكلات والخلافات الاجتماعية. وهذا الأمر عكس الحقيقة، ولكن قاتل الله بعض البحوث الأكاديمية، كيف تقلب الحق باطلاً والباطل حقاً. والغريب أنه لم يعترض أحد على ما قاله رامز معلوف في بيروت. وقد حصلت على البحث المشار إليه من الإنترنت، ولعله يتيسر لي قراءته مستقبلاً.

حضرت حفل افتتاح المؤتمر، وكان من أولى الفقرات قيام فنّان ياباني بقرع الطبول مع إصدار أصوات معينة، وكأنها طقوس تعبدية، معينة لكني لم أفهمها.

وفي ختام الافتتاح بعد الكلمات والخطب والاهتمام بالدين في العالم والتعايش بين الأديان والحوار ظهرت فرقة من البوذيين قدمت فقرة دينية لم أجلس لمشاهدتها، ولكني فكرت لماذا لا يكون افتتاح مؤتمر عن الأديان باختيار ممثلين عن الأديان المختلفة أو الكبرى، لقراءة بعض النصوص من كتبهم المقدسة، فما أجمل من أن يتلو قارئ بصوت جميل بعض آيات الذكر الحكيم حتى إن كنّا سنسمع بعض التراتيل الكنسية فنحن مأمورون بأن نسمعهم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾الآية

لاحظت أن عدد الحلقات الخاصة بالإسلام في هذا المؤتمر قليلة جداً، والرابطة تتكون كما أشرت من عدد من المؤسسات والهيئات الدولية المختلفة، والمسلمون قليلون فيها، حتى إنه لم ينضم إليها إلا إندونيسيا وتركيا مؤخراً. وقد اقترحت على الجمعية السعودية للعقيدة أن تشترك في الرابطة، وقدمت لهم معلومات وافية عن المؤتمر، ولا أدري هل يستجيبون أو لا؟ أو ليس عندهم من يمثل العقيدة الإسلامية باللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى.

مؤتمر عن الأديان في اليابان[٢]

ذكرت في الصفحات السابقة أن عدد البحوث المقدمة عن الإسلام قليلة جداً، حتى هذا القليل قدمه باحثون غربيون وغير غربيين، ولم يحضر من السعودية سوى كاتب هذه الأسطر، وبعض العرب المسلمين الذين حضروا، كان منهم بعض الإخوة من ماليزيا، وحضر الشيخ صلاح كفتارو ابن مفتي سوريا السابق. ومن الباحثين الغربيين الذين قدموا عن الإسلام محترفون في الدراسات العربية والإسلامية، فهم يقدمون بحوثاً أشبه بالتقارير الاستخباراتية.

تحدث أحد المشاركين في هذا المؤتمر عن مقارنة الأديان، وأنها بدأت في ألمانيا في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، وكأن العالم هو أوروبا وأوروبا هي العالم، ألم يسمع بابن حزم أو الشهرستاني أو البغدادي أو ابن تيمية؟!! أمر الأوروبيين غريب يرون أنهم الأصل في كل شيء.

إن الاهتمام بالأديان والأمم والشعوب قديم في تاريخ حضارتنا، لقد درسنا الشعوب والأمم الأخرى، وكان عندنا وصف لهم على

الحقيقة التي كانوا عليها، فها هو سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يقول عن الحبشة: (**إن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد**). ويقول عمرو بن العاص في وصف الروم تلك القولة التي أوردها صاحب شرح صحيح مسلم في كتاب الفتن قوله: «**إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم أحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك**». ولما دخل رسول الجيش الإسلامي على كسرى، وأراد أن يجلس معه على عرشه حاول الحرس أن يبعدوه، فقال لهم تلك القولة العظيمة التي تدل على الوعي السياسي والفلسفي: «**كانت تبلغنا عنكم الأحلام أنكم تتساوون فيما بينكم، فإذ بكم يستعبد بعضكم بعضاً، إنّ قوماً هذا حالهم فمصيرهم إلى زوال**».

والعجيب أن قدم جون اسبوزيتو لنا نقداً عنيفاً في إحدى دورات الجنادرية، حين قال: أنتم ترون عدد المتخصصين منّا بالإسلام وبالعالم الإسلامي، فأنا شخصياً ألفت ما يزيد على عشرين كتاباً عن الإسلام، وشاركت في عشرات المؤتمرات، وكتبت مئات المقالات عن الإسلام، فأين المتخصصون منكم في النصرانية أو دراسة الغرب عموماً؟! وقد قدمت سؤالاً لمدير الجامعة الإسلامية، وكان يرأس إحدى الجلسات في ندوة (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية) بقولي: قال أسبوزيتو في الجنادرية –وذكرت قوله– والمسلمون في تاريخهم لهم جهود كبيرة في دراسة الأديان والفرق، فهل ثمة محظور شرعي في أن يتوجه نفر منّا لدراسة الأديان والأمم والشعوب الأخرى؟ قال: لا أبداً، ثم قام الدكتور

عبد الراضي[1] وقال: أنا مستعد أن أقوم بذلك إن أعطيتموني منحة للقيام بهذه الدراسات، فقال له المدير: أنت لا يمكن أن تترك وظيفتك للدراسة الآن. فمتى نبدأ حقاً بدراسة الشعوب والأمم من النواحي العقدية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية؟

أقيم في اليوم الأول حفل استقبال للمشاركين للتعارف، وكنت الوحيد من السعودية، فكنت أتنقل في قاعة الاحتفال وأجد صعوبة في أن أقتحم على أحد حديثه للتعارف، ولكن بعد قليل وجدت أنني أعرف أكثر من أربعة أو خمسة أو أكثر، وكان من بينهم المستشرق جاك واردنبرج الذي يحمل الجنسية الهولندية، ويسكن في سويسرا، ويعمل في جامعة لوزان -قبل تقاعده-، وهو الذي كتب مادة (مستشرقون) لدائرة المعارف الإسلامية، وكنت لقيته في تطوان بالمغرب عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) حين كنت أحضر مؤتمر جامعة عبد المالك السعدي عن الاستشراق والدراسات الإسلامية، كما لقيت بروس بنيت أستاذ الأديان بجامعة ديوك في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان قد دعي من قبل السفارة الأمريكية ليلقي عدداً من المحاضرات حول دراسة الإسلام في الجامعات الأمريكية -عمل دعائي بحت- وأخبرته عن كتابي عن رحلاتي إلى أمريكا فقال كلمة لا أريد أن أعيدها هنا، ولكن فحواها أنني فهمت الولايات المتحدة فهماً عميقاً. وأثنى أمام بعض المستشرقين وتلاميذهم وأعترف بأنني من أكثر الباحثين العرب فهماً للغرب.

---

(١) الدكتور عبد الراضي عبد المحسن أستاذ مشارك في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حصل على الدكتوراه في الفلسفة والدراسات الإسلامية من ألمانيا، وله اهتمام بدراسات المستشرقين حول الإسلام والمسلمين.

في هذه المؤتمرات تجد البعض يبدي اهتماماً بك، وبالبلد الذي جئت منه، والبحث الذي تشارك فيه، بينما البعض الآخر لا يعيرك أي اهتمام، وأنت تجد نفسك منجذباً لشخص تهتم به وتسأل عنه، ولا تراك تعير شخصاً آخر أي اهتمام. وكان من بين الذين قابلت في الحفلة صلاح الدين كفتارو مؤسس مؤسسة الكفتارو التي يقع مقرها بالقرب من قبر ابن عربي -يفتخر جرجن نيلسون رئيس المعهد الدنمركي بدمشق بمعرفته به وبالمفتي وميل الاثنين إلى التصوف-.

وبعد وقت لقيت مجموعة من الباحثين من ماليزيا درس بعضهم في بريطانيا، وبعضهم درس في المدينة المنورة، وهم يعملون في الجامعة الإسلامية العالمية ذات التوجه الغامض والسلوك العجيب. وأخبرتهم بأنني كنت على وشك العمل في جامعتهم، لولا أنني عرفت أن مدير الجامعة حينذاك لم يكن يحب السعوديين ليعملوا معه، فضحكوا موافقين.

وفي جلسة من جلسات المؤتمر تحدث باحث ماليزي عن إندونيسيا والحركات الإسلامية وما واجهته هذه الحركات وتواجهه من صعوبات، وتحدث عن ربط الإسلام بالعنف، وقال: إن الأمر غير صحيح، ولكن الناس حين يُحَرَمون أن يَحْكُمَهم دينُهم لا بد أن يكون لديهم ردود أفعال، ولذلك فعلينا إعادة النظر في الحركات الإسلامية.

وهنا وددت لو قمت معلقاً لأقول: «إن رئيس وزراء إندونيسيا عند الاستقلال أو بعده بقليل له كتاب بعنوان: (سرقة الثورات)، تحدث فيه عن المسلمين وبيّن أنهم يضحون بأرواحهم، ويجاهدون لطرد المحتل

الأجنبي، ويسعون لأن يحكم الإسلام حياتهم بعد طرد المحتل الغاصب، ولكنهم يفاجأون بمن يسرق الثورة منهم في وضح النهار، وتتحول البلاد إلى الاتجاه المعاكس المحارب لله ولرسوله. وهذا ما حدث في الجزائر، حيث جاهد الجزائريون ليأتي من ينقل البلاد إلى الاشتراكية، وما حدث في عدن لتخرج بريطانيا وتصبح عدن شيوعية.

قدم أحد الباحثين -ربما من السويد- بحثاً عن استخدام المسلمين للمعلوميات والتقنية. فقلت له: إننا نتأخر في فهم هذه الأمور، ولكننا نستخدمها بعد غيرنا، ومن ذلك الإنترنت التي دخلت العالم العربي متأخرة، ومازلنا متخلفين في هذا المجال. ولعل في قيام باحث أجنبي بدراسة هذه الأمور يبصرنا بمواطن الخطأ في سلوكنا، ويجعلنا نعدل هذا السلوك فيما بعد. فهذه التقنيات يمكن أن تكون سلاحاً ذا حدين يمكن استعمالها في الخير فتنشره، ويمكن أن نحارب بها الشر.

مشاهدات من الرحلة الأولى إلى اليابان[1]

لا أحتاج أن أقول إن اليابان نظيفة ومرتبة، وأن لديهم وسائل مواصلات راقية، فذاك كلام لا ضرورة له، فإن القوم قد نهضوا نهضة حقيقية في المجالين العمراني والصناعي، تشهد بذلك شوارعنا والتايوتا والداتسون أو الداستون والهوندا والأدوات الكهربائية والإلكترونية. إن القوم إذا بنوا الشارع أخلصوا في بنائه، فلم يحفروه في اليوم الآتي أو بعد أسبوع أو شهر أو سنة، وإن شيدوا جسراً لم يغلقوه خوفاً عليه من الانهيار. وقد أسسوا مدارس ومعاهد وجامعات. ولكني سأتحدث في هذه المقالة عن بعض المشاهدات والطرائف والمسليات والمؤانسات.

يضع بعض اليابانيين كمّامات على أفواههم وأنوفهم، فهل المسألة ترجع إلى حرصهم على الصحة، لكنها ظاهرة لم أجدها إلاّ هنا ومن بعض الحجاج وبخاصة حجاج جنوب شرق آسيا. هل انتشار الأوبئة كالسارس وإنفلونزا الطيور وكثرة السيارات هي السبب في ذلك؟ ولو كنت صحفياً لأوقفت أحد المكممين وسألته عن سبب وضع الكمامة.

obeikandl.com

ولكن بأي لغة نتخاطب؟!!! واليابانيون يعتزون بلغتهم لدرجة مزعجة. حتى إنني اشتريت مِلّحاً ظناً مني أنه سكر!! فقررت في المرة القادمة أن أسأل حتى لو لم يفهمني البائع، فإنني سأحاول معه بلغة الصم البكم؛ أي لغة الإشارة. ومع ذلك فقد سألت فيما بعد فعرفت أن انتشار الأنفلونزا وأمراض البرد الأخرى يجعل البعض يرتديها، وفكرت أنني في بلادنا نحتاج إلى كمامات تقينا الحر والغبار.

وفي الأسواق اليابانية يستخدمون الأشخاص أو العنصر البشري للدعاية للمحال التجارية، ومن ذلك أنني رأيت فتاتين تقفان أمام متجر لبيع السجائر، وتحمل كل واحدة منهما لوحاً من البلاستيك عليه صور علب السجائر، تبتسمان للمارين وكأنهما تقولان: تعالوا إلى نوع من الموت، نريد قتلكم لو اخترتم هذا النوع من الموت. وأمام مطعم يقف رجل عجوز وبيده لوحة فيها اسم المطعم أو أسماء الأطعمة. وهناك وظائف غريبة في اليابان مثل وقوف أحدهم أمام أحد مواقف السيارات، ليساعد السيارة الخارجة من الموقف، ويؤشر للمارة أن يبتعدوا أو السيارات المارة أن تقف، ريثما تخرج السيارة من الموقف.

ويستخدم اليابانيون الأرصفة لبيع أشياء كثيرة، أو على الأصح للإعلان عن أشياء كثيرة، ومن ذلك بيع الاشتراكات في بطاقات الفيزا إن فهمت فهماً صحيحاً.

وفاء المرأة اليابانية لزوجها:

بلغنا عن اليابانيين وفاء المرأة للرجل، وتفانيها في خدمته واحترامه، وربما هذا الأمر ولّى إلى غير رجعة، حين تغربت المرأة اليابانية وقلدت

المرأة الغربية، وأصبح عندهم حركات تحرير المرأة كما عندنا، ولكن قد يكون مما شذ في هذا الخصوص، أن الأمير الياباني الذي افتتح المؤتمر كانت زوجه تمشي خلفه وكان واضحاً احترامها له. ومن بقايا التصور الياباني عن خضوع المرأة للرجل أنني حين وجدت اسمي قد سقط من البرنامج، فتحدثت إلى أحد المسؤولين، فقال لي: إن رئيسة الجلسة امرأة وهي سوف تدرجك في الجلسة. وكرر العبارة أكثر من مرة، فتعجبت هل هذا فقط لأنها امرأة؟ وتذكرت المرأة العربية المسلمة التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم حق إعطاء اللجوء السياسي أو إعطاء الأمان بمصطلح ذلك الزمن لعدو للدولة، وهي أم هانئ حين قال صلى الله عليه وسلم: (أجرنا من أجرت يا أم هانئ)، وها هو الياباني يسخر من أن تكون رئيسة الجلسة امرأة.

openkandil.com

أخبار العالم من اليابان

شاهدت خلال فترة وجودي في اليابان (٢٤-٣٠مارس ٢٠٠٤م) قناة السي إن إن الإخبارية، فوجدت قضيتين مهمتين تشغلان بال الأمريكيين: إحداهما الرجل الذي قرر أن يزيل الأجهزة الطبية عن زوجته التي تدعى السيدة شايفو schivo، وكانت قد تعرضت لحادث أو خطأ طبي، وهي في المستشفى مدة ستة عشر عاماً، والزوج قدم طلباً إلى إحدى المحاكم ليسمح له بإزالة الأجهزة الطبية، المهم أن التلفزيون الأمريكي (العظيم!) جعلها القصة الأولى، وكأن روح الأمريكية التي صعدت إلى بارئها بعد تسعة أيام من إزالة الأجهزة هذه أهم من أرواح الألوف الذين تحصدهم الأسلحة الأمريكية بأيدي الأمريكيين أو عملاء الأمريكيين أو أتباع الأمريكيين؟

أما القصة الأخرى فكانت اتهام مايكل جاكسون بالتحرش الجنسي بأحد الأطفال، وقرر القاضي أن يسمح للمحلفين بأن يستمعوا إلى شهادة بعض من تقدموا بشكوى في السابق، وحصل بعضهم على ملايين

obeikandl.com

من مايكل، ليتنازلوا عن القضية، مما يعني أن جاكسون قد يكون مذنباً، وقال أحد العاملين في قصر جاكسون: إنه شاهد جاكسون يمارس الجنس بوضعية خاصة مع أحد الأطفال، وقالت واحدة ممن سئلوا عن الموضوع: «لا دخان بغير نار». وبالرغم من أن جاكسون قد حصل على البراءة من قبل فقد يحصل عليها مرة أخرى، وهذه هي عدالة الغرب التي برأت ساحة أو جي سمسون في قضية قتله لطليقته.

زرت منطقة (أوكاشي ماشي) وهي سوق شعبية لبيع الأسماك والمواد الغذائية والملبوسات، وهي أشبه بالحراج، فكلٌّ يصيح على بضاعته، ولديهم من الأسماك ما يجعلك تسبح الخالق سبحانه وتعالى على كثرة المخلوقات البحرية، التي سماها القرآن (لحماً طرياً). وفي السوق مجال للمساومة إلى حد ما، فقد ساومت بائعة تبيع العطور ولا أدري هل هي مثل بعض محلاتنا التي تبيع العطور المزيفة وتسكت عنها وزارة التجارة؟!! فبدلاً من أن تطلب من شركات العطور الاقتصاد في الإعلانات وفي الأرباح تسكت عن بيع المزيف ليستطيع المساكين أن يشتروها. وفي هذه السوق وبالقرب منه متاجر لبيع العطارة والأعشاب والخردوات، وبالقرب من (أوكاشي ماشي) بحيرة وحولها سوق حراج لاحظت وجود بعض اليابانيين القدامى يحتفظون بشواربهم، وكأن الشوارب أصبحت موضة عتيقة. أما الخردوات فحدث ولا حرج.

والسوق الأخرى التي زرتها هي (شوبويا)، وتنتشر فيها الأسواق الكبيرة، وهو مكان تجمع الشباب وبخاصة في عطلة نهاية الأسبوع، ولذلك تنتشر سيارات الشرطة في هذا المكان. وهو المكان الوحيد الذي وجدت

فيه إشارة إلى مقر الشرطة، أما باقي الأماكن فاليابان هادئة جداً وآمنة ومطمئنة، ولا يكثر الحديد على أبواب المتاجر، بل ربما لا يوجد الحديد على معظم المتاجر، إن لم يكن كلها، ولا ترى فيها حواجز أسمنتية أو غيرها.

واليابانيون مغرمون بألعاب (الفلبرز) فبين محل (فلبرز) وآخر محل ثالث، وتمتاز بالموسيقى الصاخبة، ويصاحب الموسيقى شخص يصيح عليهم ولا أدري ما يقول، ولكن تخيلت أنه يقول لهم: لا تتوقفوا عن اللعب، نريد أموالكم، واستمروا في اللعب أيها المتعبون المنهوكون من الحياة اليومية، هذه فرصتكم لتنسوا حياتكم وهمومكم هنا، وعرفت فيما بعد أن هذه الألعاب تلعب قماراً ولكن بطريقة غير مشروعة — لا تسمح بها الحكومة —، ومع ذلك فهي موجودة وعلانية.

ومن المناظر المألوفة في اليابان الألعاب الإلكترونية، سواء الخاصة أو الموجودة في أجهزة الهاتف النقال، فما أن يصعد أحدهم القطار حتى يستل لعبته ويبدأ حتى يصل القطار إلى وجهته، وأحياناً يكون اللعب في أثناء السير، ولكن كيف يرى الطريق والشاشة معاً لا أدري؟

عُرِفَ عن اليابانيين أنهم قصار القامة، وقد كانوا يشبّهون بالترانزستور، ولكنهم أخذوا يزدادون طولاً -لاحظت هذا في رحلتي الثانية- فأكدت لي المرافقة أن الأمر صحيح، وقد أصاب الأمريكيون الأمر نفسه، وقيل: إنه تحسن في الغذاء والحياة عموماً.

لفت انتباهي تنوع السيارات اليابانية، التي لا يصلنا منها إلاّ أنواع محدودة، وسيارات التاكسي في معظمها من شركة تايوتا ونوع الكراون

كمفرت، والكراون من أنواع الداتسون عندنا، ولاحظت أن السيارات متينة وواسعة، وعرفت فيما بعد أن لديهم نوعين: الواسع والمتوسط، ولكل أجرة. وتساءلت: لماذا تأتينا السيارات اليابانية رقيقة الهيكل (تنك) تضربه باليد فينثني؟! ألا يخاف المستوردون أو المسؤولون في وزارات التجارة من وقوفهم بين يدي الخالق سبحانه وتعالى حينما يسألهم عن الأرواح التي ماتت بسبب المواصفات التعيسة التي تصلنا؟ لقد اشتريت سيارة موديل ٢٠٠٤ وفيها كيس هوائي للسائق، أما الذي بجواره فليس له كيس، أليس هذا خطأ في حق المواطن السعودي حين تكون المواصفات أقل من المواصفات التي تذهب إلى أوروبا وأمريكا؟!

obeikandl.com

مؤتمر الأديان في اليابان [٣]

كنت في صفحات سابقة تحدثت عن المؤتمر الدولي التاسع عشر لتاريخ الأديان، وأعود للحديث عن هذا المؤتمر، فقد كان من أبرز أحداثه بعض الكلمات الافتتاحية التي يختار لها متحدثون لهم شهرة معينة أو إنجاز علمي بارز، وكان العالم الذي اختير للحديث في الجلسة الافتتاحية طلال أسد بن محمد أسد النمساوي اليهودي الذي أسلم وكان اسمه ليوبولد فايس. وكانت كلمة طلال أسد حول الحركات الإسلامية في العالم العربي وفي مصر خصوصاً، وأسباب ظهور هذه الحركات. وقد أطال من قدمه في الحديث عنه، وأكد أن تقديم طلال أسد شرف كبير له، وأشاد بإنجازاته.

وقد قابلت العديد من الباحثين ومن هؤلاء الباحث الأمريكي المتخصص في الإسلام (بنيت لورانس) أستاذ الأديان في جامعة ديوك، وقد كنت تعرفت عليه في جدة حين استضافته القنصلية الأمريكية ليتحدث عن تدريس الإسلام في أمريكا، وليقوم بالدعاية لأقسام دراسات الأديان في الجامعات الأمريكية، ويصفها بأنها منصفة،

obeikandi.com

وتعرض الإسلام عرضاً جيداً؛ بل قال عن نفسه: إنه في الطريق بين الإسلام والنصرانية، وقد بدا لي أنه كثير الحديث، وأنه يدافع عن الإسلام أو الحركات الإسلامية، ولكنه مثل جون اسبوزيتو يرى أن الإسلام ليس واحداً، بل تكوَّن لدي إحساس أنه يتكسب من هذه المعرفة بالإسلام والتلطف مع المسلمين، بينما هو في الحقيقة قد يكون شخصاً آخر، ووجدته يصطحب معه باحثاً من أصل آسيوي، ويبدي إعجابه بعدد من الباحثين العرب والمسلمين، الذين اتخذوا النهج الاستشراقي القديم والحديث، فيذكر بكل إعجاب وثقة ما قاله محمد أركون أو عزيز العظمة، وعبد الله العروي، وهؤلاء الكتاب نالوا شهرة كبيرة عند المستشرقين، وعندما يستشهد بعض الباحثين الغربيين بهؤلاء، فكأنهم يتفضلون علينا، ويتنازلون حين يقبلون ما نقول، ويستشهدون به.

وفي زيارتي لهولندا اجتمعت مع زملاء نصر حامد أبو زيد في جامعة ليدن -وهو الآن قد أمضى عشر سنوات ونصف تقريباً -لقيته في هولندا عام ١٩٩٦م، وكان في بداية هروبه من مصر- فعرفت ممن يعرف المشهد الأكاديمي السويدي أن أبا زيد لا يلقى أي احترام، بل هم يستخدمونه لأغراض معينة، وهو يعرف لمَ استضافوه، وأفسحوا له المجال، فلو قرر التوبة عمّا هو فيه لما بقي من داع لإبقائه عندهم.

المهم هذا الباحث الغربي قدمني لبعض أصدقائه: أنني من أكثر العرب والمسلمين فهماً للغرب، وأنني كتبت عن أمريكا كتاباً أهدف فيه إلى هزيمة أمريكا وليس تدميرها. وهو لا يعرف ما في الكتاب ولكن ليقل ما شاء!!

من الندوات التي حضرتها ندوة بعنوان: (العرب والمسلمون والآخر) تحدث فيها أربعة من بني اليابان: تناول أحدهم نشأة القومية العربية والدوافع التي قادت إلى نشأتها، ومن ذلك ظهور القومية التركية الطورانية، وتأثر بعض أبناء العرب والمسلمين بالغرب ونشوء القوميات فيه. وقد توقف الباحث عن الحديث قبل ظهور جمال عبد الناصر ونزعة القومية المرضية، التي فرقت بين أبناء الأمة الإسلامية، فالعرب ليسوا أمة بين الناس، ولكن المسلمين هم الأمة التي وصفها الله عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾. وكانت لغته العربية رائعة، مما يدل على أن الأعاجم قد يتقنون اللغة العربية، بل يصل بعضهم إلى مستوى أفضل من أبناء العرب أنفسهم، وكم شاهدت من أساتذة جامعات عربية وسعودية على وجه الخصوص لا يحسنون اللغة العربية.

وقد ذكر لي والدي رحمه الله أن الشيخ أبا الحسن الندوي رحمه الله كان عضواً في مجلس أمناء الجامعة الإسلامية -حينما كان لكل جامعة مجلس أمناء، يُختارون من الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي، فقال الشيخ الندوي: «أنا أعجمي جئت من بلد الأعاجم، وإن كنت أنتسب إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، وها أنا ذا أتحدث إليكم وأخطب فيكم بلسان عربي مبين، فهذه عظمة الإسلام الذي جمع بيننا تحت لواء هذا الدين العظيم، وجعلني أخاطبكم بلسانكم».

وتأكدت أن الرؤية العربية للغرب قد تقاربت بين هؤلاء جميعاً، سواء العلمانيين المتغربين أو سيد قطب رحمه الله بأن الغرب يتسم بالمادية الطاغية. وقد تعجبت من هذا التلاقي بين سيد قطب وهؤلاء.

وكان لي لقاء مع مندوب دار بريل -وهي دار نشر ومكتبة تأسست في مدينة ليدن منذ أربعة قرون تقريباً- فسألته عن أي كتب تتحدث عن الغرب بأسلوب علمي موضوعي، فأشار عليَّ بمراسلة شخص هولندي هو أولا كونداجنOla F. Koendgen وأعطاني عنوانه الإلكتروني، ولعلي أراسله فربما كانت فرصة للقائه وأنا في ليدن.

وفي ردهات المؤتمر قابلت شاباً من إسرائيل، فسألته: كم عددكم في هذا المؤتمر؟ قال: ثلاثة، اثنان سيقدمان بحثين، قلت له: عجيب أنكم لستم كثيرين، قال المسافة بعيدة والتكاليف عالية، قلت: غير اليهود يمكن أن يقول هذا، فأنتم تملكون أموال العالم. ففي مؤتمر في ألمانيا حضر أكثر من أربعين من الجامعات الإسرائيلية، فأعاد عليَّ بأن ألمانيا قريبة. وتحدثنا عن السلام بين الفلسطينيين والمحتلين اليهود، وقلت لهم: كيف تزعمون أنكم تريدون السلام، وما زالت مستعمراتكم التي تسمونها المستوطنات مزروعة في أنحاء الضفة الغربية كافة؟ فكيف يكون للفلسطينيين دولتهم، وها أنتم تحاربون كل محاولة حقيقية للسلام؟ فقال: إن رأي اليهود الغالب ضد المستعمرات ومع السلام، ولكن الحكومة لا تأخذ برأي الشعب. وأضفت: إنكم قد انتخبتم شارون وهو من هو في العنف والجريمة، فقال: إنه فاز بغالبية ضئيلة.

وتحدث أستاذ آخر عن صورة الغربي والأمريكي بالذات في الرواية العربية، فذكر مذكرات توفيق الحكيم (عصفور من الشرق) ويوسف إدريس في كتابه (نيويورك ١٩٨٠)، وعبد الرحمن المنيف في روايته (مدن الملح)، وسيد قطب في كتابه (أمريكا التي رأيت)، ومن

العجيب أن التقت نظرة هؤلاء على مادية الغرب وانحلاله الأخلاقي، وهو أمر لم أكن أتوقعه من كتاب أعجبوا بالغرب وانبهروا به. وإن كان سيد قطب رحمه الله قد رأى ببعد نظر وفكر ثاقب أن قيادة البشرية يجب أن تؤول إلى الإسلام؛ لأن فيه الحل الحقيقي لمشكلات البشرية السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية، بينما كان للآخرين نظرتهم الاشتراكية أو العلمانية أو الليبرالية الغربية على الرغم من انتقادهم للغرب.

obeikandl.com

الرحلة الثانية إلى اليابان
عندما يكون الرزق ليس مالاً فقط

كنت أستمع إلى الشيخ علي طنطاوي -رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته- يتحدث عن الرزق، فقال: ليس كل الرزق أن يكون مالاً، فقد يأتيك الرزق في أشكال أخرى، وذكر بعضها. وقد يحدث أحياناً أن تعمل عملاً فتنتظر بضعة ريالات بعده فلا يأتيك شيء، ولا تدري ما خبأ القدر لك. ومن هذا الرزق الذي أحمد الله عز وجل عليه أن وجهت إليّ المؤسسة اليابانية (Japan Foundation) دعوة لزيارة اليابان مدة أسبوعين، لا تزيد يوماً وإن نقصت فلا بأس؛ وذلك لزيارة اليابان والتعرف إلى الدراسات الأوروبية والأمريكية ودراسات الشرق الأوسط في جامعاتها، والتعرف على المجتمع الياباني والثقافة اليابانية، والتعرف على معالم اليابان السياحية. وأكرمني الله عز وجل بحصولي على التفرغ العلمي من جامعة الملك سعود بعد انتظار دام أكثر من عشر سنوات (حصلت على الدكتوراه في ١٥/٦/١٤١٥هـ) والتفرغ كان لعام ١٤٢٧/١٤٢٨هـ. والتفرغ العلمي عادة بعد كل خمس سنوات.

عندما انتقلت إلى جامعة الملك سعود وفي سنة التفرغ هذه جاء الرزق في صورة دعوات إلى عدة دول، أولها اليابان ثم السويد والثالثة إلى الكويت، ولا أدري إلى أين تكون الرابعة والخامسة وغيرها؟ فكيف جاءت الدعوة من اليابان؟

قبل سنوات استضاف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ندوة عن الثقافة العربية والإسلامية في اليابان، وشاء الله أن أكون مدير تلك الندوة، وبعد مدة تقدمت إلى مركز الملك فيصل بمشروع أطلقت عليه (مشروع إنشاء أقسام الدراسات الإقليمية ومراكز البحوث في الجامعات السعودية). وقدمت في المشروع ثمانية نماذج من دول العالم المختلفة للدراسات الإقليمية، وكانت اليابان إحداها، حيث تناولت الدراسات الأوروبية والأمريكية في اليابان. وسعيت لمقابلة بعض كبار الأساتذة اليابانيين حول الموضوع، وشاء الله أن يأتي وفد ياباني إلى المملكة برئاسة البروفيسور يامائوشي من كلية الدراسات العليا في جامعة طوكيو، فطلبت أن أقابله، وبالفعل تم اللقاء في فندق الفيصلية، وجاءت مناسبة ثالثة أن حضر وفد من اليابان ليتحدث عن التجربة اليابانية في المحافظة على القيم والتقاليد في اليابان مع الأخذ بالتحديث والتطور، وكنت مديراً لتلك الندوة.

وفي مناسبة أخرى، حضر البروفيسور يامائوتشي على رأس وفد لندوة الحوار العربي الياباني، وأراد التلفزيون السعودي إجراء حوار معه باللغة الإنجليزية، وكلفت أن أقوم بذلك الدور، ولم يشعرني التلفزيون أن الحوار قد عُرض ولم أعط نسخة منه، أما المكافأة فكيف يعطونني

مكافأة؟!! فأنا الذي يجب أن أدفع لهم؛ لأنهم مكنوني من الظهور في تلفازهم!!

أرأيتم منطقاً معكوساً أكثر من هذا؟! والله لا يجرؤون على أن يذيعوا أغنية دون أن يعطى المطرب ما يريد من مال، أما أن يطلب من أستاذ جامعي أن يقوم بإجراء حوار فهم أصحاب المنّة والفضل.

واهتمت السفارة اليابانية والمؤسسة اليابانية فيما علمت بمشروعي، وقاموا بترجمة الجزء الخاص باليابان إلى اليابانية والإنجليزية، وهنا بدأت الاتصالات الفعلية بيني وبينهم، لترتيب زيارة لي إلى اليابان على حساب المؤسسة اليابانية، والجهات التي أريد زيارتها، والأشخاص الذين أود مقابلتهم، وكنت قد تعرفت على أحد الباحثين اليابانيين النشطين وهو ساتو ناكامورا الأستاذ بجامعة كوبيه والمتخصص بالمملكة العربية السعودية، والمهتم جداً بتوثيق العلاقات الثقافية بين اليابان والمملكة، فساعد كثيراً على إعداد البرنامج، واقتراح جهات لزيارتها، وكذلك الاقتراح عليَّ بتقديم بعض المحاضرات. وقد أخبرني أن تقديم المحاضرات ليس أصلاً في برنامج المؤسسة اليابانية، وإنما هو تفضل وكرم من الضيف أن يوافق على إلقاء المحاضرات.

ولم تكن المؤسسة اليابانية غريبة عليَّ فقد قمت بزيارة مكتبهم في طوكيو في شهر مارس عام ٢٠٠٤م، عندما حضرت المؤتمر الدولي التاسع عشر للرابطة العالمية لتاريخ الأديان، حيث تم تبادل الأحاديث عن التبادل الثقافي مع المملكة وبرامج الزيارات بين الباحثين السعوديين واليابانيين.

وتم تبادل المراسلات لتحديد موعد الزيارة إلى اليابان على أن تتم قبل نهاية شهر مارس ٢٠٠٧م، حيث إن ميزانية اليابان تبدأ من شهر أبريل من كل عام، وأراد الله أن أكون في بريطانيا في صيف العام الماضي، لقضاء بعض الوقت في جامعة إكستر، وحضور المؤتمر السنوي للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، وما إن رجعت بنهاية الصيف كان ينتظرني مؤتمر في بداية شهر سبتمبر في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وبعد العودة من ماليزيا سيبدأ رمضان، وبعد رمضان، بقليل سأشارك في المؤتمر الذي يعقده مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف عن القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، وبعد الانتهاء من كل تلك الارتباطات أبدأ في زيارة اليابان.

وتضمنت الدعوة تكفل المؤسسة اليابانية بتذكرة على درجة الأفق بنحو أربعة آلاف دولار أمريكي والإقامة، بالإضافة إلى مبلغ لتغطية مصروفاتي اليومية. وكان من المناسب أن أصطحب معي زوجتي وهاشم (أصغر ضيف للمؤسسة الياباني في تاريخها (سنتين تقريباً)، فكانت قيمة التذكرة تكفي لتغطية تذاكرنا الثلاث مع زيادة قليلة.

دعاني السفير الياباني إلى طعام الغداء في منزله قبل سفري وهو صديق للبروفيسور يامائوتشي. وكان لقاءً لطيفاً تعرفت على كثير من الأمور التي أحببت أن أعرفها قبل سفري، كما كانت فرصة له وهو ممثل اليابان أن يتعرف على من سيكون خلال أيام ضيف حكومته. وهكذا يكون السفراء. وقد مرت معي تجارب مع بعض سفرائنا أزعجتني حقاً، ولكن ليس كل ما يعلم يقال. وهكذا تم ترتيب هذه الزيارة، وكان

هذا الرزق، فرحم الله الشيخ علي الطنطاوي رحمة واسعة، وكم يمكن للإنسان أن يتعلم من حديث تلفزيوني أو إذاعي؟ ولو أن الإعلام في الغالب أصبح لغير هذه الأمور ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

obeikandl.com

الرفيق قبل الطريق- ثماني ساعات أو ثماني دقائق

تفاوضت مع المؤسسة اليابانية على أن أصطحب زوجي وابني هاشم في هذه الرحلة، فكان شرطهم ألا يكون في هذا الأمر تعطيل لي عن برنامج الزيارة، وأن عليَّ أن أتحمل تكاليف تذاكرهم إلى اليابان وتذكرة الرحلة إلى كيوتو وهيروشيما فوافقت. والحقيقة أن خديجة متفهمة لطبيعة عملي، فقد حضرت معي العديد من المؤتمرات، فقبل أن يرزقنا الله بهاشم كانت تحضر الجلسات معي، وكانت تساعدني على تفهم رد فعل الحاضرين لما أقول ولتعليقاتي، وقد كانت متابعتها ممتازة في تلك المؤتمرات التي حضرتها معي. وعندما رزقنا بهاشم صار من الصعب أن تحضر الجلسات؛ لأنه قد يحدث ضجة في القاعة، مع أني رأيت نساءً يحملن أطفالهن إلى بعض المؤتمرات، وفي بعض المؤتمرات يوفرون حضانة في أيام المؤتمر.

وفي ماليزيا كانت فرصة لخديجة للتعرف على كوالالمبور أكثر مني، حيث أخذت خريطة المدينة، وعرفت المواصلات العامة التي توصل إلى

obeikandl.com

الأماكن المختلفة، فكنت أذهب لحضور الجلسات، وكانت تنطلق لمشاهدة معالم المدينة والملاهي والحدائق العامة. وقد استمتع هاشم برفقة أمه إلى أماكن كثيرة لا يتوافر مثلها في المملكة. ويفتخر الماليزيون مثلاً بالمحافظة على المساحة الخضراء، وفي كل مدن العالم تقريباً يتم إنشاء حديقة في وسط المدينة تكون كالرئة لتلك المدينة. ومن العجيب أنهم أنشأوا حديقة في المدينة خارجها في الطريق الدائري الثاني، وسميت الحديقة المركزية، والأولى أسموها الحديقة المتطرفة أو الطرفية.

اخترنا شركة كاثي باسفيك من هونج كونج لتنقلنا إلى طوكيو عن طريق هونج كونج ومدة الرحلة إلى هونج كونج بنحو ثماني ساعات. فدخلنا صالة السفر في مطار الرياض، ولم نجد متجراً واحداً فليس في المطار سوى أكشاك القهوة والشاي وبعض الأكل الخفيف. ومن العجيب أن مطار الرياض يمكن أن يكون المطار الوحيد في العالم الذي ليس فيه متاجر. ولا أدري ما السبب؟ ليس في مساحة المطار أي ضيق والمسافر ربما نسي شيئاً فيريد شراءه من المطار أو يتذكر عزيزاً يريد أن يشتري له هدية فيجد المطار خاوياً من المتاجر. ولكن لهذا الأمر حسنة واحدة: أنه يساعدك على عدم الشراء، وخصوصاً أن المسافر يحب الشراء عادة.

أقلعت الطائرة (يردد هاشم الطائرة تقلع) في موعدها على الساعة الثانية عشرة والنصف من مطار الرياض، وبعد قليل قدموا وجبة جيدة، ثم أخلدنا إلى النوم ولم تمض ساعة أو قليل فإذ بنا نرى الفجر الذي كنا سنراه في الرياض بعد أربع ساعات يصل بسرعة كبيرة. وكان هاشم يحب أن يمشي في الطائرة، لأنه من الصعب أن تحبس طفلاً

عمره سنتان في مكان واحد عدة ساعات، فكنت أمشي معه في ممرات الطائرة، لأن هذا مما ينصح به الأطباء، وتسلية لهاشم الصغير.

لقد سافرت كثيراً وكانت بعض الرحلات طويلة مثل رحلة نيويورك من جدة التي تستمر ثلاث عشرة ساعة، وكنت أجد بعض الملل إن لم يكن معك رفيق تقطع معه المسافة بالحديث والأنس، ولكن هذه الرحلة كانت كأنها ثماني دقائق وليست ثماني ساعات. فشكراً للرفقة الطيبة من خديجة وهاشم.

وصلنا مطار هونج كونج الذي بناه الإنجليز قبل مغادرتهم الجزيرة إلى غير رجعة! وقال لنا سائق من أصل أفغاني: إن الإنجليز بنوه ليستفيدوا من الأموال الضخمة التي كسبتها شركات المقاولات الإنجليزية والمعدات والأدوات التي اشتريت من بريطانيا، فقد يكون الكلام صحيحاً، ولكن ليس مستغرباً على العقليات الاستعمارية. وقد شاهدت بقايا الإنجليز في زيارتي لهونج كونج في العودة من اليابان.

وأقلعت الرحلة الموصلة إلى طوكيو في موعدها، وما هي إلاّ ثلاث ساعات حتى كنّا في مطار ناريتا، ووجدنا المرافقة التي كلفتها المؤسسة بمرافقتنا تتعرف علينا. وكان اسمها تاكاكاو شيموزو تعمل مترجمة في رابطة الضيافة الدولية وخدمات المؤتمرات، ولهذه المؤسسة علاقة بوزارة الخارجية اليابانية. وهي امرأة كبيرة في السن قامت بمرافقة العديد من ضيوف المؤسسة اليابانية، ولها تجارب مع الوفود. وبعد أن قامت بمرافقتنا أكثر من سبعة أيام من الرحلة التي امتدت أسبوعين صرحت لي بأن بعض من يأتي من الشرق الأوسط أو العرب لا يحترم

الوقت، وقد صرحت بذلك بعد أن رأت أننا في عشرات المواعيد كنا نأتي قبلها أو تأتي هي قبل الموعد بخمس أو عشر دقائق. أما نحن فقد كان التزامنا أضبط من الساعة السويسري أو الياباني.

لم يتدخل أحد لتسريع مرورنا من الجوازات، فليس ثمة حاجة لذلك، وخرجنا من المطار في سيارة أجرة، والمسافة بين المطار ومدينة طوكيو تزيد على ستين كيلو متراً. ووصلنا الفندق وكانت الساعة تقترب من التاسعة مساءً، فوجدنا الموظفة المسؤولة عن برنامجي السيدة موتسومي واكاهاما Mutsumi Wakahama عن برنامجي تنتظرنا في الفندق لترحب بنا، وتسألنا عن الرحلة وتذكرني بالموعد في اليوم التالي.

وبعد أن ارتحنا قليلاً في الفندق خرجت إلى متجر قريب لشراء بعض الحليب وأشياء أخرى، ثم رأيت بريدي الإلكتروني وموقع ابن الإسلام، فوجدت أن الأستاذ بشير نعمان -المشرف على الموقع - يطالبني بتقرير عن رحلة اليابان. وكأنه يريد أن يرد لي ما سبق أن طلبته منه أن يكتب تقريراً عن مؤتمر المدينة المنورة. وهو يعرف أنه لا يحرجني، وليس الأمر صعباً عليَّ فما أكثر تقارير المؤتمرات التي قمت بكتابتها، ولكني أردت له فقط أن يتدرب على كتابة تقارير المؤتمرات.

وعلى الساعة العاشرة والنصف من اليوم التالي كان موعدي مع المسؤولين في المؤسسة اليابانية لمناقشة برنامج الزيارة والمواعيد التي تم تنظيمها والمواعيد التي لا تزال، وإتمام بعض الإجراءات المالية.

وأجد من المناسب هنا أن أعرّف بالمؤسسة اليابانية Japan Foundation فقد تأسست عام ١٩٧٢م، ومهمتها تشجيع التبادل الثقافي بين اليابان والشعوب الأخرى، وتعتمد أساساً على تمويل من الحكومة اليابانية، حتى أصبحت مؤسسة عامة مستقلة، لها دعمها الحكومي، وما يأتيها من دعم من القطاع الخاص (كم أرباح البنوك عندنا؟ وأين دعمهم للثقافة؟) بالإضافة إلى استمرار الدعم الحكومي الذي يبلغ أحد عشر مليار ين سنوياً.

وتنشط المؤسسة داخل اليابان وخارجها، ولها فروع رئيسة في طوكيو وكيوتو، يبلغ عدد مكاتبها ثمانية عشر مكتباً، وقد افتتحت المؤسسة عدة فروع لها في الخارج منها فرع في القاهرة. ومن اهتمامات المؤسسة نشر الثقافة اليابانية واللغة اليابانية. وتقدم المؤسسة دعماً للباحثين اليابانيين لدراسة الشعوب الأخرى (الذين سجلوا رسائل ماجستير ودكتوراه حول الشعوب الأخرى، وقد قدموا دعماً لأكثر من خمسة أو ستة في المملكة، كما أن السفارة اليابانية أحياناً تقدم وظائف لطلاب الدكتوراه، فيعملون في السفارة، ويبحثون في الوقت نفسه).

تعرفت على هذه المؤسسة قبل ثلاثة أعوام، حين جاء إلى مركز الملك فيصل أحد الباحثين بتمويل من المؤسسة، ومازال يطالب بأن يتوجه باحثون من السعودية للتحدث إلى اليابانيين حول المملكة.

وفي هذا اليوم كان لي لقاء كريم مع السفير السعودي في اليابان الأستاذ فيصل طراد الذي استقبلني استقبالاً جميلاً، وشكا من أن كثيراً من الباحثين أو الضيوف يصلون إلى اليابان، ولا يفكرون أن

يزوروا السفارة. وتحدثنا عن إعداد السفراء والعاملين في السفارات، وكيف أن الجامعات الغربية لديها برامج لهذا الغرض، ومنها على سبيل المثال (معهد إدموند ولش للخدمات الخارجية بجامعة جورج تاون)، وذكر أن وزارة الخارجية في السعودية بحاجة حقيقية لبرامج لتأهيل السفراء، ومن أهم مواصفات السفراء أن يتقنوا لغات أجنبية وخصوصاً اللغة الإنجليزية -علمت أن بعض السفراء عملوا في أوروبا وهم لا يتقنون الإنجليزية، وفي وفود المملكة إلى الأمم المتحدة من لا يتقن اللغة الإنجليزية. حتى لو كانت هناك ترجمة فورية للخطابات، لكن اللقاءات الجانبية لا يمكن أن يصطحب كل عضو معه مترجم- وقد ذكرت للسفير كيف أن الخطوط السعودية كان لديها برنامج متميز لإعداد العاملين مديري محطات أو مديرين إقليميين، حيث ركزوا على اللغة وعلى الاقتصاد وخصوصاً اقتصاديات الطيران وأمور أخرى. فهل تتنبه وزارة الخارجية لدينا لعمل برامج من هذا النوع، والله الموفق.

obeikandl.com

أستاذ سعودي يحاضر في جامعة يابانية

في الساعة الخامسة والنصف مساءً انطلقت إلى جامعة كوكوجاكوين Kukugakuin التي تقع في وسط طوكيو، وما إن دخلت الجامعة حتى طلبت دليلاً للجامعة باللغة الإنجليزية، فأُعطيتُ دليلاً للجامعة صادرًا عام ٢٠٠٢م، واسم هذه الجامعة يعني حرفياً «الأكاديمية الجامعية لدراسة الجوهر القومي». وقد انطلقت الجامعة من معهد سابق لدراسة الكلاسيكيات الإمبريالية عام ١٨٨٢م، وكان رئيسها الأول الأمير أريسوجاوا تاكاهيتو Arisugawa Takahito، التي تحولت في عهده إلى جامعة عام ١٨٩٠، وكانت هذه المرحلة مرحلة تغير رأسي، فقد كانت المحاولات جارية لتحديث الأمة بنشر العلوم الغربية والتقنية، وقد انتشر التغريب في المجالات الثقافية والاجتماعية، وقد أثار هذا الأمر الاهتمام الجاد لدى بعض قادة الرأي اليابانيين، حيث أدركوا التهديد الذي يمثله الغرب للمجتمع الياباني التقليدي وثقافته. -هل ندرك نحن هذا التهديد، فنوسع جامعاتنا حتى تستوعب الأعداد المتزايدة من الطلاب بدلاً من الابتعاث ومخاطره وخصوصاً على الطلاب قبل سن العشرين؟

obeikandl.com

واستجابت الجامعة لهذه التغيرات، فركزت الدراسة والبحث في مجالي التربية وأسس التقاليد اليابانية، وكان الهدف الرئيس من الجامعة هو توضيح التقاليد القومية، وكان من أبرز التخصصات الأدب الياباني والتاريخ والشينتو -معتقدات اليابان الدينية-، وعمل ثلاثة أرباع الخريجين معلمين للأدب الياباني والتاريخ.

وبعد الخمسينيات من القرن الماضي، بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية جعلهم يعملون استجابة لمتطلبات الديمقراطية، والطلب المتزايد على التعليم العالي على إضافة كليات جديدة للجامعة، ومنها كليات الاقتصاد والقانون، واليوم (٢٠٠٢م) تواجه الجامعة قضية العولمة وانتشار تقنية المعلومات الحاسوبية، وهذا قاد الجامعة لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين بتأسيس أول كلية لدراسة الشنتو في أبريل ٢٠٠٢م، (مواجهة العولمة بمزيد من دراسة الإسلام لا الخجل منه!!) لتكون أكبر معهد لمثل هذه الدراسات، وقد اختارت وزارة التعليم والعلوم والثقافة هذه الكلية كواحد من المراكز القليلة بصفته مركزاً متميزاً.

وقد لاحظت في تطور الجامعة أنها أضافت دراسات مسائية عام ١٩٤٩م، حيث قدمت كلية الآداب برامج مسائية في دراسات العلوم السياسية، وأعيد تسمية كلية العلوم السياسية إلى كلية السياسات والاقتصاد، وفي عام ٢٠٠١م أدخلت كلية السياسات والاقتصاد برنامج المحاضرات المسائية.

أما العلاقات مع العالم الخارجي فقد أنشئ مركز التبادل الثقافي للبحوث والعلماء الزائرين (أين برامج الأساتذة الزائرين في الجامعات السعودية؟).

وفي عام ١٩٩٦م قامت كلية الآداب بتأسيس أقسام لدراسة الآداب اليابانية والصينية واللغات الأجنبية، ودراسة الثقافات، وقامت كلية الاقتصاد بتأسيس قسم للاتصالات الصناعية والمجتمعات الاستهلاكية.

أما محاضرتي في هذه الجامعة فقد بدأت بتقديم البروفيسور ناكامورا لي بطريقة متميزة، حيث رجع إلى موقعي في الإنترنت واستخرج ترجمة وافية وعرّف بالموقع تعريفاً جيداً، وكانت المحاضرة بعنوان: (الاهتمام السعودي بالاستشراق والاستغراب)، وبدأت المحاضرة بشكر المؤسسة اليابانية وكذلك جامعة كوكوجاكوين على استضافتها لي، وكان ملخص تلك المحاضرة ما يأتي:

بدأ الاهتمام بالاستشراق في السعودية منذ وقت مبكر، وقد قسمت هذا الاهتمام إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: الاطلاع على المطبوعات القادمة من مصر وسوريا ولبنان والعراق والجزائر وتونس وغيرها من البلاد العربية الإسلامية، وقد حملت هذه المطبوعات الكثير من الكتابات حول الاستشراق. وقد راجعت فهارس مجلة (الرسالة) على سبيل المثال، فوجدت عشرات المقالات والبحوث التي تتناول الاستشراق -وهذا قبل أن يكون لدينا صحافة-. في هذه الفترة أيضاً وصلت إلينا بعض المناظرات التي دارت بين جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده مع عدد من المستشرقين الفرنسيين بصفة خاصة. وسبب اهتمام تلك الدول العربية بالاستشراق أنها ابتليت بالاحتلال الأجنبي الذي قام بجهد كبير -غير مشكور-

لتغريب التعليم في البلاد العربية واختيار عدد من أبناء الأمة ليربيهم على عينه، بإنشاء كلية فيكتوريا في مصر، والكلية الأمريكية في بيروت، والمدارس الفرنسية المختلفة، والمدارس التنصيرية في لبنان وسوريا ومصر، وفي هذه المرحلة أيضاً وصلتنا كتب مهمة مثل كتاب عباس محمود العقاد رحمه الله (ماذا يقال عن الإسلام).

ولعل من أبرز رواد دراسة الاستشراق في هذه المرحلة الشيخ الدكتور المجاهد مصطفى السباعي رحمه الله، الذي قام بجولة في عدد من الجامعات الغربية، وناقش المستشرقين وعرفهم معرفة عميقة. وقد أصدر كتابه العظيم (السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، ثم كتابه الصغير حجماً الكبير فائدة (الاستشراق ما له وما عليه)، وربما كانت له كتابات كثيرة في مجلة (حضارة الإسلام) التي كان يرأس تحريرها لم تنشر بعد. وقد قام كذلك بعض علماء الأزهر بنشر بعض الكتب في نقد الاستشراق.

وتأثرنا نحن بالاستشراق والفكر الاستشراقي حين نشأت المدارس في المملكة العربية السعودية، فكان أخذنا عن المصريين (وربما كانوا هم الأكثر تأثيراً في مناهجنا) كثيراً من المناهج في العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع وعلم النفس، حتى في الرياضيات فقد درست في المرحلة المتوسطة (١٣٨٣-١٣٨٥هـ/١٩٦٢-١٩٦٥م) في مادة الرياضيات حساب الفوائد، وكنّا نحسب الفائدة البسيطة والفائدة المركبة، ولم يكن أحد يدرك أن هذا هو الربا، ولعل بعضنا ظل متأثراً من تلك الأيام، فلما صار عنده مال أودعه في البنوك ليأخذ الفائدة المركبة.

وعندما نشأت الجامعات السعودية (جامعة الملك سعود ١٣٧٧هـ وجامعة الملك عبد العزيز ١٣٧٧هـ) لم تجد أمامها إلاّ الأساتذة المصريين والعراقيين والسوريين والسودانيين، وكثير منهم درس في الجامعات الغربية وحصلوا على الدرجات العليا من هناك، فجاءنا الفكر الاستشراقي عن طريقهم، واستمر هذا التأثير، حيث إنني التحقت بجامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٤هـ(١٩٧٤م)، فكانت الكتب المقررة متأثرة بالفكر الاستشراقي، ناهيك عن الأساتذة حيث إن أحدهم في نقاش معه طلب مني ألا أخلط العلم بالدين، فواعجباه وواعجباه!!

المرحلة الثانية: انطلقت من المملكة العربية السعودية البعثات العلمية إلى مصر وأوروبا، ففي مصر كان الاحتكاك بالاستشراق بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ففي تلك السنوات كانت الجامعات المصرية تستضيف بعض المستشرقين الذين درسوا في جامعة القاهرة وفي غيرها من الجامعات. أما بعض الطلاب السعوديين فقد درسوا في الجامعة الأمريكية في بيروت، ومن أهم التخصصات التي درسوها هناك التربية، والتربية كما يقولون هي شخصية الأمة، فإذا تنازلت عن منهجها التربوي تنازلت عن شخصيتها وهويتها. ومن العجيب أن بعض كبار المسؤولين والأثرياء أرسلوا أبناءهم إلى كلية فيكتوريا والكلية الأمريكية في بيروت، ولطلاب كلية فيكتوريا رابطة تجمعهم حتى اليوم.

أما الذين ابتعثوا إلى أوروبا وأمريكا في القديم فكان الاهتمام منصباً على العلوم التطبيقية، وليس من المستبعد أنهم احتكوا

بالمستشرقين بطريقة غير مباشرة، ولكننا حين توسعنا في البعثات كان هناك من ذهب لدراسة التاريخ والجغرافيا حتى اللغة العربية وآدابها، كما أن بعض طلاب الدراسات العليا درسوا العلوم الشرعية على أيدي بعض المستشرقين.

المرحلة الثالثة: بدأ الاهتمام بالاستشراق في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية وفي مركز البحوث في الرياض بصفة خاصة، حيث أنشئت وحدة دراسات التنصير والاستشراق وعمل فيها أساتذة كبار أذكر منهم الدكتور قاسم السامرائي والدكتور محمد فتحي عثمان وإبراهيم عكاشة والسيد محمد الشاهد، وقد عملت مساعد باحث (كنت محاضراً) مدة سنة وكان هذا في عام ١٤٠٠هـ، وبعد ثلاث سنوات انطلق قسم الاستشراق وكان القسم الوحيد في العالم الإسلامي الذي يعطي درجتي الماجستير والدكتوراه في دراسات المستشرقين حول الإسلام، ولكن كان من سلبيات هذا القسم عدم الإصرار على تنفيذ شروط القبول ومنها إتقان لغة أجنبية، ولم ينطبق هذا الشرط إلاّ على طلاب المنح. كما أن القسم لم يصر على نوعية الطلاب التي كان ينبغي أن يكون منها أن الطالب عليه أن يعرف خطورة التخصص وأنه يجب أن يجند حياته وفكره وعقله وروحه لهذا التخصص.

زيارة كيوتو *Kyoto*

المدينة التي لم يضربها الجيش الأمريكي

أواصل الحديث في هذه الصفحات عن كيوتو التي كانت المحطة الثانية لهذه الرحلة، حيث أتحدث الآن عن زيارتي لجامعتها وللمعالم الأثرية فيها. كانت وسيلة المواصلات إلى هذه المدينة القطار من طوكيو هو القطار السريع الذي يسمّى الطلقة (الطلقة النارية بالطبع)، أي إنه قطار سريع تتجاوز سرعته الثلاثمائة كيلو متر في الساعة، ولا نامت أعين المتخلفين الذين مازالت قطاراتهم من العصر الحجري. قد استغرق زمن الرحلة ثلاث ساعات تقريباً. وينطلق القطار بتوقيت غريب، فمثلاً التاسعة وتسع وعشرين دقيقة، وأتساءل: لماذا لم يكن وثلاثين دقيقة؟! ولكن هذه القطارات تسير وفقاً لبرنامج زمني، ولا بد من مراعاة التوقيت بدقة، وإلاّ حدث ما لا تحمد عقباه من تصادم وخلافه. وكيوتو هي المدينة السادسة في اليابان من حيث عدد السكان وترتيب المدن هو:

١- طوكيو

٢-يوكوهاما

٣-أوساكا

٤-ناجويا

٥-سابورا

٦-كيوتو

وعدد سكان كيوتو يبلغ مليوناً ونصف، وعدد الجامعات فيها ثمان وثلاثين جامعة، منها ثماني جامعات حكومية فقط، وفيها عدد من الكليات المتوسطة والمعاهد الفنية والتقنية، وكيوتو مدينة علم، فعشر عدد السكان من الطلاب.

وكانت كيوتو هي عاصمة اليابان أكثر من ألف سنة، أي من نهاية القرن التاسع حتى منتصف القرن التاسع عشر. ويفتخر أهل كيوتو بأن جامعاتهم فاز منها ستة علماء بجائزة نوبل في العلوم، بينما فاز اثنان من طوكيو في الآداب.

أما اليابان عموماً فعدد جامعاتها أربعمائة وخمسون جامعة، منها ثلاث وثمانون جامعة فقط حكومية والباقي أهلية. وتقول الدليل التي كانت ترافقنا: إن التعليم أصبح تجارة، ومن الجامعات التي تعرفت عليها جامعة صوفيا في طوكيو وهي جامعة كاثوليكية، وجامعة دوشيشا جامعة بروتستانتية. وملاحظتي هنا: لماذا الهجوم على الجامعات الإسلامية أو الدينية، وهذه الجامعات الكاثوليكية والبروتستانتية تملأ العالم؟! والطلاب في اليابان يدفعون رسوماً دراسية للجامعات الحكومية، ولكن الرسوم في الجامعات الأهلية تصل إلى الضعف. وبعض الأهالي يدفعون لأبنائهم، بينما الآخرون يضطرون للعمل لدفع

المصاريف، وعرفت أن البنوك الغربية تعطي قروضاً للدراسة. ويرى اليابانيون أن الأسرة إن كان فيها اثنان في الجامعة فإن مصاريفهما ستثقل كاهل الأسرة.

وكان من الملاحظات التي سمعتها من عدة أشخاص وقرأت عنها في مجلة أمريكية أسبوعية هي التايم: أن المجتمع الياباني أصبح مجتمعاً عجوزاً، أو إنه يشيخ أو هو بدأ يتناقص، وسيشعر اليابانيون بهذه الأزمة بعد بضع عشرات السنين، وقد ذكر عام ٢٠٥٠م أو قبل ذلك. ولكن الأزمة موجودة من الآن، لأن اليابان قد بدأت بالفعل تمنح جنسيتها لبعض العمال والفنيين الذين هاجروا إلى اليابان بقصد العمل، ولاحظت أن معظم السياح في الأماكن التي زرتها هم من اليابانيين، والسياحة الخارجية في اليابان قليلة جداً، فمن يطيق الغلاء الياباني الذي يجعل فنجان القهوة بأربعين ريالاً تقريباً، وقس على ذلك من أنواع الغلاء. وثمة نقطة أخرى وهي تمسك اليابانيين باللغة اليابانية، فعندما تبحث عن الحليب قلما تجد نوعاً من الحليب مكتوباً عليه بغير اللغة اليابانية، وقد اضطررت لشراء حليب فقط من شكل العلبة، حيث إن من المتعارف عليه أن لون علب الحليب أزرق. وقد وقع أحد إخواننا المصريين في إشكال، وهو أنهم يسمون الحليب لبناً، فاشترى لبناً وصنع القهوة ووضع فيها من اللبن، وعندما تذوق القهوة وجدها حامضة، فعرف أننا لا نسمي الحليب لبناً بل حليباً (وإن كانت كلها ألباناً).

أما الأماكن السياحية التي يزورها السائح في كيوتو فهي كما يأتي:

- غابة القصب: وهذه الغابة ينتشر فيها القصب، وهو شجر

طويل يزيد ارتفاع الشجرة على عشرة أمتار، ويرتفع إلى هذا الطول خلال عام واحد من زراعته، ثم يزداد سمكاً عاماً بعد عام. والقصب له جذور تضرب في الأرض بعيداً، ويكون شبكة قوية من هذه الجذور تحت الأرض، مما يجعل الأرض متماسكة، لذلك يقولون عند حدوث الزلزال: عليك اللجوء إلى غابة القصب.

وذكرت لنا الدليل: أن القصب ينمو في الصين، ويستخدمه الصينيون للتعذيب، فيحبس الشخص الذي يراد تعذيبه في غرفة صغيرة ذات سقف منخفض، ويكون القصب قد غرس تحت أرض الغرفة، فإذا نما القصب فيكون حاداً جداً، وهذا ما يعذب به السجين. وأتعجب من عبقرية البشر في تعذيب بعضهم بعضاً. وقد قرأت أن الشرطة الأمريكية لديها معاهد لتعليم شرطة البلاد العربية والإسلامية وسائل التعذيب والتحقيق الجنائي وما سوى ذلك حتى المساجين السياسيين. وقد أثيرت ضجة في بريطانيا (ما أكثر الضجات التي تصدر من هناك) عن بيع أدوات تعذيب لدول العالم الثالث، وهو أمر مخالف لحقوق الإنسان. ولكن لا يقال: أي إنسان هذا الذي له حقوق عند الغربيين؟! فهم الذين اخترعوا كل أسلحة الفتك والقتل والتعذيب، وجربوها فينا. ولذلك ما قرأته للشيخ عائض القرني بالمطالبة من الحكومات العربية والإسلامية أن تسعى لامتلاك كل أنواع الأسلحة، حتى لو كانت دولنا قد وقعت على معاهدات واتفاقيات. وهو عين ما قاله دومينك شوفيليه المستشرق الفرنسي في مؤتمر (ثقافة الخوف)، الذي عقد في عمّان في جامعة فيلادلفيا بالأردن في شهر أبريل عام ٢٠٠٦م حيث قال: إنكم إن لم

تتسلحوا وتملكوا القوة، فإن عدوكم يزداد قوة وتزدادون ضعفاً. وعندما قدمت مشاركتي في المؤتمر استشهدت بكلام شوفالييه، وناشدت الدول العربية والإسلامية أن تسعى لامتلاك القوة.

- معبد جنكوان البوذي Genko-an ويطلق عليه رسمياً يوهوزان هوجروين جنكو-آن. ويقع في الجزء الشمالي من مدينة كيوتو، وقد تأسس المعبد عام ١٣٤٦م من قبل أول قساوسة طائفة الزن البوذية، وتغيرت الطائفة التي يتبعها المعبد بعد أن استولت عليه طائفة أخرى هي رنزال عام عام ١٦٤٩. وتبلغ مساحة المعبد ثلاثة وستين متراً مربعاً، وفي المعبد نافذتان إحداهما مربعة والثانية دائرية، وكل واحدة تمثل رحلة من الارتقاء الروحاني للفرد، فالدائرة يطلق عليها ساتوري نومادو تمثل زن والوعي الديني، أما المربعة فيطلق عليها مايول نومادو التي تعني التطلعات البشرية العميقة للحياة والوصول إلى سن متقدمة والمرض والموت. وهذا يعني أن الإنسان يعاني هذه التطلعات، ويطلق عليها في اليابانية شيكو هاكو سورو Shiku hakko suru وسقف المعبد من الخشب الذي يحمل بقعاً لأقدام المحاربين، وهي بقع من الدم، وقد أتي بها من قصر مومو ياما في فوشيمي في كيوتو.

وللمعبد حديقة جميلة ليس فيها زهور، لأن المعتقد البوذي أن يكون المعبد وما حوله يتصف بالبساطة، ولكن لليابانيين طريقة في ترتيب الأشجار والشجيرات من الأقصر إلى الأطول، ثم تطل الحديقة على فضاء واسع، والفضاء الذي بعدها يجعلها في نظر المشاهد كأنها حديقة واسعة وهي في الحقيقة أقل مما تبدو.

كانت جولتنا بسيارة أجرة كل اليوم، وقد كلف ذلك أكثر من خمسة عشر ألف ين، أي مائة وخمسين دولاراً، وقد يراها مثلي من أساتذة الجامعات كبيرة جداً، ولكن إذا كنت ضيفاً لدولة عظمى، فهي عظمى لما تنفقه على العلم والعلماء. وقد فكرت قليلاً فالمال يعود إلى الشعب الياباني. وكان بالإمكان استئجار سيارة والطلب من الدليل أن تقودها فيكون ذلك أرخص، ولكن لا يمكن أن تطالب دولة من العالم الأول أن تحسب الأمور بطريقة شخص من العالم الثالث.

obeikandl.com

من الحياة الاجتماعية في اليابان

على الرغم من أن عنوان المبحث السابق تضمن أن كيوتو لم تقصف من قبل الجيش الأمريكي لكني لم أوضح السبب، وقد فهمت أنه نظراً لأن كيوتو مدينة تاريخية، وتضم كثيراً من المواقع الأثرية، فإن الأمريكيين حرصاً على الحفاظ على الطابع التاريخي للمدينة فإنهم تحاشوا قصفها، ولكن يتساءل المرء: لماذا عندما ضربت العراق لم يهتم الأمريكيون بالآثار العراقية؟! وأول ما نهب من العراق كان آثاره، أما وزارة النفط التي جاء الأمريكيون لنهبها فقد حافظوا على تلك الوزارة حفاظاً تاماً. ولذلك فالذي يقول: إن عداوة الغرب لنا إنما هي بسبب بعض المتطرفين منّا و«الإرهابيين» كما يسمونهم ليس صحيحاً، حتى ضرب العراق كان بزعمهم لأن صدام كان يملك أسلحة الدمار الشامل التي تخيف العالم منه. ثبت أنها فرية كبرى، ولم يقل لنا الأمريكيون حتى الآن: لماذا احتلوا العراق؟!!

في سياحاتي عادة ما أحرص على زيارة المقاهي صباحاً؛ لأرى الناس وهم مقبلون على الدنيا والعمل، كيف يتصرفون وماذا يفعلون؟ ولإدمان

قديم لشرب فنجان من القهوة صباحاً. ففي ذات صباح دلفت إلى مقهى له اسم إنجليزي -نادراً ما يسمي اليابانيون الأماكن التجارية بالأسماء الأجنبية- وطلبت كأساً من الشاي، فإذ بالشاي يرافقه صحن فيه بيضة مسلوقة وقطعتا توست مدهونتان بالزبدة -ألذ زبدة ذقتها في مدينة باليرمو بجزيرة صقلية في إيطاليا- لم أرد أن أناقش صاحب المطعم فقد كان فيما بدا لي لا يعرف الإنجليزية، وأحياناً أستسلم عزوفاً عن المحاولات التي لا تجدي للتفاهم.

لدى المقهى قائمة مشروبات ومأكولات مقسمة إلى أقسام، كتب عنوان كل قسم باللغة الإنجليزية، ثم كل شيء آخر باللغة اليابانية، فمثلاً هناك مشروبات ساخنة، ولكن ما هي هذه المشروبات؟ أحتاج إلى مترجم. فيكفي أنه فهم أنني أريد شايًا. واليابانيون يشربون عشرات الأنواع من الشاي، ومنها نوع مثل البودرة تشبه الملوخية الناشفة إذا طحنت. وهذا النوع من الشاي يشرب عادة من دون سكر، وله مذاق غريب، فهو أشبه بالأعشاب منه بالشاي. أما الشاي الأحمر الذي غلب عليه التسمية بالشاي الإنجليزي فهو جيد. حتى ليبتون التي هي من الشركات العالمية المتعددة الجنسيات التي تأتي إلينا بشاي أعتقد أنه رديء، إلاّ أن هذا الشاي عندهم مذاقه أفضل. ولا أَمَلُّ من القول: إن البضائع التي تأتينا إنما هي درجة ثانية لما يباع في أوروبا وأمريكا واليابان حتى في ماليزيا. فهل لهذه الدول مواصفات ومعايير تختلف عمّا عندنا؟

كان عدد الزبائن في ذلك المقهى في ذلك الصباح الجميل سبعة، ثم زاد عددهم واحداً فأصبحوا ثمانية، أما طاولات المقهى فهي من

الخشب المطلي بالأسود. ويساعد صاحب المحل امرأة عجوز، يمكن أن تكون زوجة صاحب المحل. من أهم ما يفعله المرتادون للمقهى أن يقرأوا الصحف اليابانية. وبعضهم يقرأ بتمعن، وكان هناك زبون يقرأ كتاباً.

يوجد في صدر المحل ساعة كبيرة ولوحة لتعليق الأوراق وربما الإعلانات عليها، ويوجد بالمقهى موقد نار أو مكان لإشعال النار، ونظراً لأن الحرارة تنخفض جداً، فإنهم لابد أن يستخدموا التدفئة. وفي أحد المقاهي بالقرب من فندق (آنا) الذي نزلنا فيه في طوكيو بعض المقاهي لديها كراس وطاولات خارج المحل، وبجوار عدد من الطاولات مدفأة. فقلت: يا سبحان الله حتى خارج المحل يدفئون الزبائن.

زبائن هذا المقهى من الموظفين الكبار، كما تدل عليهم هيئاتهم، فمعظمهم يرتدون البذلة الكاملة، ويحملون الحقائب الفخمة، وتسريحة شعورهم تدل على عناية فائقة بهذه المسائل المظهرية، التي تأتي مع طبيعة العمل. ولكن مع ذلك كان في المقهى اثنان من الحرفيين لم يرتديا الملابس الرسمية.

لابد للإنسان أن يعترف أن اليابان بلد جميل جداً، فطبيعته: خلاّبة، جبال خضراء، وأنهار وبحيرات وأشجار جميلة كثيفة وذات خضرة عميقة، ولديهم أشجار أوراقها حمراء وصفراء، وتتغير ألوانها في بداية الشتاء ومع انتهاء الخريف، وفي هذا العام تأخر تغير ألوان أوراق الشجر ويلام الانبعاث الحراري أو زيادة الحرارة الكونية. ومن المعروف أن أمريكا لم توافق على توقيع معاهدة عالمية للحد من زيادة الحرارة الكونية. وأسباب الانبعاث الحراري هو عدد المصانع الهائل في

العالم الغربي وما تطلقه من غازات في الجو، حتى تلوث الجو وتلوثت المياه، وللحضارة الغربية تلوثات أخرى مثل الضوضاء.

ونظراً لأن رحلتنا كانت في موسم سياحي ياباني، فقد اضطررنا إلى أن نغادر الفندق في كيوتو لنسكن ليلة أو ليلتين في منطقة باكو، وباكو هذه بحيرة رائعة الجمال، ترى التقاء الجبال بشواطئ البحيرة، والتقاء الخضرة بزرقة السماء، فما أروعه من منظر! واليابانيون كما ذكرت مغرمون بالألعاب الإلكترونية والفلبرز، فبجوار الفندق السياحي الضخم مركب سياحي فيه متجر ضخم لبيع الألعاب الإلكترونية، كما أن فيه أكثر من صالة للألعاب الإلكترونية.

كنت أعتقد وربما غيري أيضاً أن اليابانيين قصار القامة، وكنا نطلق عليهم الترانزستور، ولكني لاحظت في هذه الزيارة أن قامات اليابانيين بدأت تطول، وسألت المرافقة عن صحة هذه الملاحظة، فقالت: نعم، إن تحسن الغذاء والرفاهية ورغد العيش أدت إلى أن تطول قامات اليابانيين، ولعل الطول في الرجال أوضح.

ذكر لي صديق زار اليابان أنهم شعب هادئ الطبع خجول، ولكن عندما سألت أحد الإخوة الذي درس اللغة اليابانية وحصل على منحة للدراسات العليا في اليابان، ويعمل في المعهد الإسلامي العربي بطوكيو: هل اليابانيون خجولون حقاً؟ وهل ينظرون إلى الناس نظرات فاحصة؟ قال: نعم، إن الياباني ينظر إليك ويدرسك دون أن تشعر به.

لقاءات علمية أكاديمية في كيوتو

ذكرت أن اليابان تهتم بدراسة الشعوب والأمم الأخرى، وقد أسست لذلك العديد من مراكز البحوث والمعاهد والأقسام العلمية، وتطور الأمر إلى جمع عدد من الأقسام والمراكز تحت مظلة معهد أو مركز؛ ففي جامعة كيوتو على سبيل المثال قرروا تأسيس مركز للدراسات الإقليمية المدمج، وعنوانه (Integrated Area Studies Center)، وكان تأسيسه في أبريل ٢٠٠٦م، ويعمل فيه أربعة عشر أستاذا. وقد حضر الاجتماع كل من البروفيسورة فوميكو أوشياكاوا Fumiko Oshikawa وهيامي يوكو Hayami Yoko ويوسوشي كوسجي، الذي أهداني عدداً من الكتب، ويعمل في الدراسات العليا الآسيوية والأفريقية.

وعلمت أن برنامج الدراسات الآسيوية والأفريقية يمنح الدكتوراه خلال خمس سنوات، ومن لا يستطيع الإكمال يمنح درجة الماجستير، ويتكون الطلاب من جنسيات مختلفة فمنهم من جاء من إندونيسيا، ومن تركيا والصين وغيرها، وبلغت هذه الجنسيات خمس عشرة جنسية،

obeikandl.com

ويتضمن البرنامج عملاً ميدانياً، حيث يذهب الطالب إلى الدولة التي يريد دراستها، ويقضي فيها بعض الوقت لإتقان لغتها، والتعرف عليها عن قرب. وقد عرفت أن الدراسات الإقليمية لم تعد تعتمد فقط على دراسة اللغة وحدها، بل لابد من التعمق في فرع معرفي مثل علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو السياسة أو التاريخ أو العلوم الطبيعية كالطب والزراعة وغيرهما، وتأكيداً لحديث اليابانيين قلت لهم: لقد أحصيت ثمانية عشر قسماً يشتركون في دراسة الشرق الأوسط ودوله وشعوبه تحت مظلة معهد دراسات الشرق الأوسط.

وكان لابد أن أسأل عن الجهات التي تفيد من خريجي هذه الدراسات، فذكر لي أولاً الحكومات المختلفة، والمنظمات غير الحكومية والشركات، وبعضهم لا يعمل باستمرار في مكان واحد.

ومن اهتمام اليابان بالدراسات الإقليمية أن لديها العديد من الهيئات والمؤسسات والجمعيات التي بلغت أربع عشرة هيئة منها:

- المجلس الياباني للعلوم Japan Council of Sciences.
- لجنة الدراسات الإقليمية.
- التجمع الياباني للدراسات الإقليمية Japan Consortium of Area Studies.

وعندما سألت عن علاقة الدراسات الإقليمية في اليابان بنظيراتها في أوروبا وأمريكا قيل لي: إن الدراسات الإقليمية في أمريكا تخضع لرغبات الحكومة الأمريكية، أو إن هذه الدراسات تخضع للتوجيه،

بينما الدراسات الإقليمية في اليابان أكاديمية بحتة، على الرغم من أنها تتلقى دعماً من الحكومة اليابانية وبخاصة عن طريقة المجلس الياباني للعلوم. ولم أود أن أناقشهم بأن الحكومة الأمريكية تدعم عدداً من مراكز البحوث والأقسام العلمية في الجامعات الأمريكية، ولكن هناك عدد كبير من الجامعات المستقلة عن تأثير الحكومة. والآن يوجد صراع كبير في الولايات المتحدة للحد من الحرية الأكاديمية يقود المعركة من الجانب اليهودي الصهيوني مارتن كريمر ودانيال بايبس والمؤسسات التابعة لمجموعتهما.

ومن أنشطة المركز المدمج نشر المطبوعات وإقامة الندوات والمؤتمرات. ومن ملامح استقلال الدراسات الإقليمية في اليابان عن مثيلاتها في أوروبا (هناك تعاون في أن بعض الباحثين اليابانيين مازالوا يدرسون في الجامعات الغربية الأوروبية والأمريكية حول الشرق الأوسط)، ولكن تبين لي أن ثمة إنتاج علمي مميز، وفيما يأتي بعض الإصدارات اليابانية وباللغة العربية التي تدل على رغبتهم في معرفة شعوب المنطقة من خلال إنتاجها الفكري:

١- إعادة نسخ مجلة المنار لصاحبها ورئيس تحريرها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، في مجموعة من الأسطوانات المدمجة مع فهارسها. ولعل سبب الاهتمام بهذه المجلة هو الاهتمام ببواكير النهضة في العالم الإسلامي وبخاصة في مصر.

٢- تراث الفكر السياسي الإسلامي، جمع وإعداد د. يوسف إيبش ود. كوسوجي ياسوشي، وقد صدر عام ٢٠٠٥م ويتكون من ٩٤٨

صفحة من القطع الكبير، ويضم نصوصاً في الفكر السياسي في القديم والحديث، فمن كتابات الماوردي والفراء والجويني والغزالي والشهرستاني إلى الكتابات الحديثة مثل الشيخ شاه ولي الله عبد الرحيم الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب وخير الدين التونسي وجمال الدين الأفغاني وساطع الحصري وعبد الرحمن عزام إلى الفكر السياسي الاشتراكي والشيوعي والقومي المعاصر.

ودار الحديث حول المؤتمرات الدولية الكبرى التي تتناول قضايا الشرق الأوسط، فأشار أحد الأساتذة إلى أنه على الرغم من اشتراك اليابان في تنظيم بعض هذه المؤتمرات، لكنها لم تأخذ حظها الحقيقي في تقديم وجهة نظرها في الدراسات الإقليمية، فلا تزال الزعامة في هذه المؤتمرات للغربيين. وينطبق الأمر على البلاد العربية أو بعضها؛ ففي المؤتمر العالمي الثاني لدراسات الشرق الأوسط الذي عقد في عمان في الفترة من ١٢-١٦ يونيه عام ٢٠٠٦ كانت اللغة الأساسية للمؤتمر هي الإنجليزية، ولم تنل اللغة العربية أي حظ من الندوات والمحاضرات مع أن العديد من الباحثين العرب والمسلمين كانوا يشاركون في المؤتمر؛ بل كانت المراسلات بين المنظمين والباحثين تتم باللغة الإنجليزية، وهكذا جاءت البحوث في الغالب تمثل وجهة نظر الغربيين. وربما كان العيب في عدم وجود اللغة العربية أن الباحثين العرب يعزفون عن حضور المؤتمرات في البلدان العربية أو يعزفون عن الحضور إلى المؤتمرات التي يكثر فيها الباحثون الغربيون.

ومن الجامعات المهمة في كيوتو جامعة دوشيشا التي أسسها شخص اسمه جوزيف هاردي نيسيما (Joseph Hardy Neesima)عام ١٨٦٤م الذي هرب من اليابان وهو في الواحد والعشرين من عمره حين كان الخروج من اليابان إلى العالم الغربي وبخاصة أمريكا يعد جريمة ولو قبض عليه لدفع حياته ثمناً لهذا الخروج. وكان هذا في عام ١٨٦٤م. أراد نيسيما أن يحصل على تعليم غربي فالتحق بالجامعات الأمريكية، ونال درجات علمية، ثم عاد إلى بلاده بعد أن درس في أكاديمية فيليبس وكلية أمهرست Amherst College، وكان مقتنعاً بضرورة تأسيس معهد تعليمي على أسس القيم والأنموذج الغربي والتعاليم النصرانية. ومن ثم أسس في عام ١٨٧٠م أكاديمية دوشيشا (Doshisha Eigakko).

تحتضن هذه الجامعة كلية الدراسات الأمريكية، وهو برنامج دراسات عليا دون أن يكون ثمة برنامج دراسات جامعية.

وتهتم هذه الجامعة بتشجيع التفاهم بين الدول والشعوب والتبادل الثقافي من خلال برنامج المنح الدراسية. وتعد الجامعة واحدة من أبرز الجامعات اليابانية مكانة. وتضم الجامعة كليات في العقائد والآداب والدراسات الاجتماعية والتجارة والسياسة والثقافة وعلوم المعلومات والهندسة.

ويبلغ عدد طلابها أربعة وعشرين ألف طالب موزعين على ثلاث مدن جامعية منفصلة عن بعضها، ويقع الحرم الجامعي الرئيس في وسط المدينة مقابل القصر الإمبراطوري، وتتسم مبانيه بأنها تاريخية وذات طابع معماري مميز. ونظراً لطبيعة الجامعة في الاهتمام

بالثقافات الأخرى، فقد كانت الجامعة منذ عام ١٩٥١م حتى ١٩٨٧م هي المستضيف لحلقات البحث حول الدراسات الأمريكية. وفي عام ١٩٧٢ أنشأت الجامعة برنامج كيوتو المتحد، حيث يحضر بموجب هذا البرنامج أربعون طالبًا إلى كيوتو في السنة الجامعية الثالثة من خمس عشرة كلية من الفنون الحرة من الولايات المتحدة الأمريكية بما فيها كلية امهرست وبيتس وبكنل وكارلتون وغيرها. حيث يقوم هؤلاء الطلاب بدراسات يابانية تحت إشراف أساتذة متخصصين بالإضافة إلى التعرف على المجتمع الياباني مباشرة. وهذا ما دفع جامعة توبنجن في ألمانيا إلى إنشاء برنامج للدراسات اليابانية عام ١٩٩٣م.

وتحتضن الجامعة كلية الدراسات الأمريكية، وهو برنامج دراسات عليا فقط، وتأسس هذا البرنامج عام ١٩٩١م، وأصبح من أهم مراكز الدراسات الأمريكية في اليابان لما تملكه مكتبة الكلية من مراجع لا تتوافر في مكان آخر. ويبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس الدائمين ثمانية أساتذة، بينما هناك العديد من المحاضرين والأساتذة الزائرين الذين يأتون لمدد قصيرة وطويلة. وقد قام أساتذة المركز خلال السنوات الماضية بنشر العديد من الدراسات بالتعاون مع جامعات أمريكية مثل ستانفورد وكورنيل وجامعة شمال كارولينا وغيرها. كما أن للكلية مجلات خاصة محكمة وغيرها من المطبوعات.

فنجان قهوة وأصابع باردة!!

اليوم هو الرابع والعشرون من نوفمبر ٢٠٠٦م (الرابع من ذي القعدة ١٤٢٧هـ)، وبقي من عمر زيارتي لليابان يومان، خرجت صباحاً أبحث عن مقهى أتناول فيه فنجاناً من القهوة، فتلك عادة تملكتني منذ زمن طويل، وقد قال أحدهم: أحسن عادة ألا يكون لك عادة، وسمعت الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله يقول ذات مرة: «العادة تتكون من مرة واحدة» بحثت عن مقهى لتناول القهوة، ولما كان اليوم سبتاً فإن المقاهي لا تفتح مبكرة، فسرت مشواراً طويلاً، وكان الجو بارداً جداً، وعلى الرغم من أنني أرتدي صدرية من الصوف، لكن شعرت بالبرد في ساقيّ حتى لو كان البنطلون أو السروال من الصوف، لكنه لا يغني عن لسع البرد.

وشعرت بالبرد أيضاً في أصابعي التي أحتاجها بعد قليل في الكتابة. ولما جلست لشرب القهوة، وبدأت أشعر بشيء من الدفء، بدأت في الكتابة مستعيداً ذكريات الأسبوعين إلاّ اليومين الماضيين. فها أنا أعود

obeikandl.com

إلى طوكيو بعد جولة في عدد من المدن الأصغر حجماً والأكثر هدوءاً والأقل ازدحاماً. وقد كانت جولة ثرية غنية بالمعلومات واللقاءات والذكريات.

ماذا أكتب عن هذه الرحلة؟ لقد جمعت عدداً كبيراً من البطاقات، أي أنني قابلت عشرات الأشخاص الذين سأنسى معظمهم، حتى أقرأ الاسم في البطاقة، فلا أعرف من صاحبها ولا أين لقيته، وأحياناً أكتب بضع كلمات على البطاقة لتذكرني بالشخص إن رجعت إلى البطاقات. واليابان بلد البطاقات، فلا تكاد تصافح الشخص حتى يخرج البطاقة ويقدمها إليك بكلتا يديه وبانحناءته المعتادة، فلابد أن يكون لديك من البطاقات ما يكفي، بل إن حافظة البطاقات تباع في البقالات الصغيرة، وقد اشتريت واحدة مصنوعة من الألمنيوم الخفيف، ووجدت أن إحدى المكتبات في الرياض لديها مثل هذه الحافظات كما أن لديهم حافظات بطاقات من الجلد.

اليابانيون يستخدمون الأرقام اللاتينية (يطلق عليها عربية خطأً)، ولكن عندما تريد أن تعرف ما السلعة التي بيدك أو ما تركيبها فكل شيء باللغة اليابانية. وتساءلت وأنا أمضي أسبوعين بالإضافة إلى الأيام العشرة التي قضيتها في الرحلة الأولى هل تغربت اليابان؟ والإجابة عن هذا السؤال صعبة، ولكني كنت أسمع في معظم الأماكن الغناء باللغة الإنجليزية، فقد يكون أمريكياً (وهو الغالب) وإنجليزيا في الأقل. وفي أحد المقاهي كانت الأغنية التي تذاع هي:

كم أنت جميلة،

كم أنت جميلة،

أنت كل شيء تطلعت إليه،

وأنت كل ما أحتاج.

You are so beautiful،

You are so beautiful.

You are everything I hope for,

You are everything I need.

واسم هذا المقهى برونتو Pronto، وبرونتو كلمة إيطالية، وقد لاحظت أن الغناء أو الموسيقى في أماكن كثيرة هو إنجليزي في أغلبه. فهل يحب اليابانيون الموسيقى الأجنبية إلى هذه الدرجة؟ والملاحظ أيضاً أن هذا الأمر موجود في بلاد كثيرة، ففي بعض البلاد العربية تجد أنهم في الأسواق أو في الفنادق الكبرى يحرصون على سماع الموسيقى الأجنبية.

ويرتدي اليابانيون في الغالب الأزياء الأوروبية نساءً ورجالاً، فأزياء النساء بين المحتشمة وغير المحتشمة، فبعض النساء يرتدين البنطلونات الضيقة والأوسع والأوسع، ومنهن من يرتدين البنطلونات القصيرة أو التنانير القصيرة جداً. بينما الأصل في الزي الياباني أنه طويل ساتر. ولكن حتى مع هذه الأزياء الغربية فقد لاحظت أن العري في اليابان أقل مما هو في بريطانيا وبخاصة في فصل الصيف. أما الرجال فيرتدون اللباس الأوروبي الكامل مع ربطة العنق، أو ربما لأنني كنت أسير في الغالب في المناطق التجارية أوالراقية، وربما لا يعترف اليابانيون باللباس الأوروبي غير الرسمي.

ولليابانيين اهتمام بالدين، والمسألة فطرة بشرية البحث عن خالق أو قوة عظمى أو إله. وفي اليابان ديانتان منتشرتان انتشاراً واسعاً، هما البوذية التي انطلقت من الهند إلى الصين فاليابان، والديانة الأخرى هي الشنتو shintō، وهي الديانة المحلية الأصلية لليابانيين، وكانت في وقت من الأوقات الديانة الرسمية للدولة. وتتضمن عبادة آلهة متعددة. (يمكن الرجوع إلى موسوعة ويكيبيديا المجانية لمزيد من التفاصيل).

ثم قام اليابانيون بالخلط بين هاتين الديانتين والديانة النصرانية، فالياباني قد يتزوج في كنيسة ويتبع الطقوس الشنتوية في الدفن والطقوس البوذية في مجال آخر. ومع ذلك فأعتقد أن الذين اعتنقوا النصرانية أكثر حرصاً على عدم الخلط بينها وبين الأديان الأخرى، وكذلك الذين اعتنقوا الإسلام.

والنصرانية لها وجود في المجال الجامعي، حيث إن لديهم جامعة صوفيا في طوكيو، وهي تتبع الكنيسة الكاثوليكية وبخاصة اليسوعيون، وجامعة دوشيشا في كيوتو تتلقى دعماً من الكنائس البروتستانتية.

ويبدو لي أن ديانة اليابانيين أقرب إلى الوثنية من كونها ديانة توحيدية، وربما كانت البوذية في أصلها ديانة توحيدية، ثم دخلتها تحريفات معينة. وكان من ضمن برنامج زيارة منطقة هيروشيما أن نزور جزيرة إنجيما التي يزعمون أنها مدينة الإله، ويزعم بعضهم أن هذا الإله أنثى، ولكونها أنثى فهي تشعر بالغيرة من النساء، فلا ينبغي أن يظهر رجل في حالة عشق مع امرأة في الجزيرة، وتحرم تلك الديانة أن تضع المرأة مولودها في الجزيرة، بل عليها أن تنتقل إلى اليابسة أو المدينة

المجاورة لتضع مولودها، ثم يمكنها أن تعود. ومن طرائف معتقداتهم أن الإله أو الآلهة في تلك الجزيرة تنزل من الجبل لتغسل وجهها فأعدوا بركة خاصة لذلك حتى يبقى الماء متوافراً إن كان هناك جزر وانحسر الماء. كما صنعوا للإلهة جسراً نصف دائري أو هلالي الشكل، يزعمون أن البشر لا يستطيعون المشيء عليه. وأتساءل أي إله هذا الذي يحتاج إلى غسل وجهه، وأن البشر يقدمون له الماء أو يوفرون له الماء ليفعل ذلك؟ وقلت للمرافقة هذا كان حال العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حين كانوا يعبدون آلهة من حجارة ومن خشب وأحيانا من التمر، وقد كتبت في أيام شبابي باللغة الإنجليزية (وإله من التمر لابد أن يؤكل) And a God of Dates is bound to be eaten.

كثيرة هي الأشياء الغريبة في الديانة اليابانية؛ ففي أحد المعابد يقف بعضهم في مكان معين ويصفق لتسمعهم الآلهة، ولا أدري هل ينطبق عليهم ما كان ينطبق على العرب حين كانت عبادتهم التصفير والتصفيق ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، وهنا قالت زوجتي خديجة للمرافقة: ولكن إلهنا لا يحتاج إلى تصفيق أو تصفير، فهو قريب إلينا نناجيه وندعوه بصوت عال أو منخفض، ولو دعوناه سراً لاستجاب لنا. وإلهنا لا يحده مكان، وهو أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

وعندهم أماكن مخصصة لتقديم الطلبات أو الرغبات، فالطلاب يأتون إلى مكان معين ليعلقوا رغباتهم في النجاح، ويكتبونها على قطع من خشب معين، وبأشكال وخطوط معينة، وفي هذه السنة التي تسمى عندهم سنة الكلب، يرسمون كلباً على تلك القطع.

وفي مكان آخر من المعبد نفسه في جزيرة إنجيما بالقرب من هيروشيما يعلق اليابانيون أمانيهم عموماً أو هو مكان لتعليق أمنياتهم التي لم يستجب لها في العام المنصرم. وفي مدخل المعبد مجموعة من القطع الحجرية وبداخلها مساحة لوضع الشموع -ولما جاء عصر الكهرباء، وضعوا فيها مصابيح كهربائية- وهذه القطع شكر للإله أو الآلهة التي استجابت لدعائهم، ويعرف الناس حجارتهم التي نصبوها ويتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد. وهناك صف من الحجارة مر عليه أكثر من مائة سنة وفي الجهة المقابلة الحجارة الجديدة.

obeikandl.com

التعليم العالي

لنخرج من قضايا الأديان إلى التعليم العالي الياباني، فقد دعاني سكرتير المعهد الإسلامي العربي - بترتيب قامت به البروفيسور (ناكامورا) وموظفة المؤسسة اليابانية (واكاهاما)-بطوكيو التابع إدارياً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمستقل في ميزانيته، حيث تأتي من وزارة المالية مباشرة. فتحدثنا عن الأديان في اليابان، فذكر لي أن عدداً من اليابانيين قد أسلموا، وهم بحاجة إلى دعم كبير، لينقلوا الدين إلى أهليهم، وأضاف: إن اليابانيين ينظرون إلى أي أجنبي نظرة ريبة وشك ويشبهونه بـ (السفن السوداء)، وهي السفن الأمريكية التي غزت اليابان، وقد تخرج بعض الإخوة اليابانيين في المعهد، وحصلوا على الدرجة الجامعية، وهم بحاجة إلى إكمال دراساتهم العليا في المملكة، ولكن بعض المسؤولين في المملكة لم يسهلوا عملية التحاقهم بالجامعات السعودية، وبخاصة في مجال الدراسات الإسلامية. ولعل المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية الذي يعمل الدكتور صالح العايد على توفير منح لهم للدراسة في المملكة للحصول على الماجستير والدكتوراه في الشريعة الإسلامية.

وتطرق الحديث إلى التعليم العالي في اليابان والمملكة، فكان مما ورد أن الجامعات السعودية تعاني تخلفاً مزمناً، فهي لم تحصل على أي مركز في التصنيف الدولي للجامعات، وهنا تذكرت أنني قبل سفري إلى اليابان كان برنامج (ساعة حوار) يستضيف الدكتور محمد الخازم ليتحدث عن التعليم العالي، الذي كتب فيه كثيراً وألف كتاباً حوله. وأتيحت لي الفرصة قبل أن أنطلق إلى المطار فقلت: الأستاذ الجامعي في السعودية يعاني إحباطاً وتثبيطاً، فأين المخصصات للبحث العلمي؟ بل أولاً أين الراتب المحترم؟ وذكرت أن بعض أساتذة الجامعات اضطروا إلى فتح محال تجارية صغيرة، بل ربما فتح أحدهم محلاً لإصلاح إطارات السيارات وتغيير الزيوت (البنشر)، ليوفروا لأنفسهم حياة كريمة، وأحدهم عمل في المقاولات، ورفض أن ينفق وقته في البحث، لأن البحث العلمي والترقية تأتيه بثلاثين ريالاً أو أكثر قليلاً، فكيف يرعى أبناءه ويدخلهم المدارس أو يعالجهم. وقد ثبت أن كادر أعضاء هيئة التدريس في السعودية هو الأقل في دول المنطقة.

حقق التعليم العالي الياباني استقلالية منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وليت الفرصة تتوافر لدي لأترجم محاضرة ألقاها أحد خبراء التعليم العالي الياباني في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض قبل سنتين تقريباً، وربما نفكر في المملكة بإنشاء مجلس أمناء لكل جامعة، ونجعل من بينهم شخصيات مالية كبيرة حتى ينفقوا من أموالهم على التعليم، بدل أن تتضخم الأرباح في البنوك

المحلية، ولا أحد يستفيد منها قرشاً، وقد شاهدت شيكاً (نشرت صورته في إحدى الصحف) عن شركة يونانية يتبرع مديرها العام اليوناني بمبلغ لإحدى الهيئات الخيرية في البلاد. فأين تبرعات أصحاب المال للتعليم العالي، وهم يحبون أن تقع الأموال في أيدي من يحسن استخدامها، وهذا من حقهم.

obeikandl.com

الصحافة اليابانية الناطقة باللغة الإنجليزية

لم تتح لي الفرصة للاطلاع على الصحافة اليابانية الناطقة باللغة الإنجليزية لانشغالي بالسفر من مدينة إلى أخرى، وكثرة المقابلات والجولات السياحية، ولكني استطعت أن أتصفح صحيفتين من الصحف اليابانية، وهما جابان تايمز Japan Times وصحيفة يوميوري Yomiuri، وفيما يأتي بعض الموضوعات التي لفتت انتباهي:

- **صحيفة الحكومة البيضاء، كُلِ الأخضرَ والفطور، ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٦م**

وافقت الحكومة اليابانية في اجتماعها يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٦م على وثيقة تهتم بغذاء الشعب الياباني، مؤكدة ضرورة الالتزام بالتغذية الصحيحة، فقد دلت استطلاعات الرأي على وجود تدهور في عادات الطعام في البلاد، حيث إن ٢٥,٩٪ من الأسر اليابانية تتناول طعام العشاء مجتمعة، بينما كان هذا الرقم هو ٣٦,٥٪ عام ١٩٧٦م، وزادت نسبة الميل إلى تناول الطعام خارج المنزل، كما أن عدد الأطفال في الصف الخامس الذين يتناولون وجبة الإفطار أو لايتناولونه إلاّ نادراً قد ارتفعت إلى ٢٥٪.

وأشارت الوثيقة إلى أن الأطفال الذين لا يتناولون الإفطار يميلون إلى الشعور بالتعب والانفعال أو القابلية للانفعال والانزعاج.

وقد أوضحت الحكومة أن من بين أهدافها حتى عام ٢٠١٠ أي بعد ثلاث سنوات أن يتناول جميع الأطفال طعام الإفطار، وتخفيض نسبة الرجال في العشرينيات من أعمارهم الذين لا يتناولون طعام الإفطار إلى ١٥٪ من النسبة الحالية التي تبلغ ٣٠٪.

تعليق: لماذا تهتم الحكومة اليابانية بهذه القضايا؟ هل فرغت من القضايا الكبرى حتى يكون من بين اهتمامها ما يأكل الناس وما يشربون ويفطرون أو لا يفطرون؟ هل من مسؤوليات الحكومات مثل هذه القضايا؟ ولكني أتذكر (على طريقة سفيان الثوري) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لو أن بغلة عثرت في العراق لعلمت أن الله محاسبي عليها: لمَ لَمْ تُسَوِّ لها الطريق يا عمر؟». وعمر هو الذي فرض لكل من يفطم من أطفال المسلمين؛ حتى سمع بكاء طفل في المسجد فذهب إلى أمه ينهرها لم لا تستطيع إسكاته، فقالت: الله بيننا وبين عمر، لقد فرض لمن يُفطم، وأنا أحاول فطمه، فبكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قائلاً: كم قتلت من أطفال المسلمين؟ وأمر بأن يفرض لكل من يولد في الإسلام، وأين نحن من هذه التشريعات في البلاد الإسلامية؟ لقد قرأت مؤخراً أن ألمانيا أو السويد أو دولة أوربية أخرى فرضت مبلغاً محترماً لكل من يولد.

- **الخبر الثاني: الين من أجل الين A Yen for Yen**

تجمع نحو ألف شخص لشراء تذاكر الياناصيب الضخم لنهاية العام، واسم هذا الياناصيب هو تاكاراكوجي Takarakuji، وأكشاك بيع

التذاكر في منطقه اسمها جينزا من الساعة الثامنة والنصف صباحاً، حيث بدأ بيع التذاكر في اليابان كلها، ويستمر البيع حتى ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦، ويكون السحب ليلة رأس السنة.

وقد وصلنا بلاء الياناصيب في أشكال لا أول لها ولا آخر، فما زلت أذكر الصحف التي وضعت مسابقات وكوبونات ليتسابق الناس في المعرفة، وإذ بالأمر كذبة كبرى، فلا معرفة ولا يحزنون، لأن الكوبونات أصبحت تباع وحدها فلا تحتاج أن تبحث عن الحلول أو حتى تقرأ الجريدة. وكل ما عليك سوى وضع اسمك في كل كوبون، وتسلمها لمن باعك الكوبونات محلولة. وانتظر الفوز بالجائزة الكبرى. والآن الفضائيات والإعلانات التجارية كلها تسوق ياناصيبات لا أول لها ولا آخر. ولينتظر الأغبياء الفوز. ويقابلك أحدهم قائلاً: هل شاركت معنا في السحب؟! ألا تريد أن تشارك معنا في السحب؟! ولن أطيل ولكن أنتظر العلماء ليقولوا كلمتهم للناس بكل الوسائل المتاحة، فلو أن كل إمام مسجد تحدث دقيقتين عن الأمر، أو لو جعلها الخطباء جزءاً من خطبة الجمعة كل أسبوع للتحذير من الياناصيب.

- **الخبر الثالث: موظفون رسميون يتناولون العشاء بعد موت طالبة!!**

اجتمع عدد من كبار المسؤولين في إدارة التعليم في مقاطعة ياماجاتا Yamagata لتناول طعام العشاء في اليوم الذي انتحرت فيه طالبة عمرها ستة عشر عاماً، وتدل الشواهد على أن الطالبة انتحرت بسبب السخرية والمضايقة والتحرش، وقد شاهد مدرسون الطالبة تلقي بنفسها يوم الأربعاء الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً في مدرسة

تاكاهاتا الثانوية، وقد تركت رسالة في هاتفها النقال تذكر عدداً من الطلاب بالاسم كانوا سببًا في انتحارها. وقد كان عدد المسؤولين الكبار أعضاء المجلس التعليمي واحداً وعشرين شخصاً، كانوا يتناولون العشاء في اليوم نفسه، واعترف مسؤول التعليم في تلك المقاطعة بقوله: «لقد كان تصرفنا غير حكيم، ونحن نأسف لتصرفنا».

- **الخبر الرابع: الوزراء يتعهدون بمعالجة مشكلة السخرية والاستهزاء والتحرش في المدارس ويصرون على إصلاح التعليم.** Japan Times Weekly Nov. 18. 2006

تعهد كبار الوزراء في ١٣ نوفمبر على إحداث تغييرات في التعليم العام بعد سلسلة من انتحار الشباب قبل سن العشرين في أحداث مرتبطة بالسخرية والابتزاز والتحرش. وقد أعلن سكرتير رئيس مجلس الوزراء يوسوهيسا شكوزاكي Yaushisa Shiozaki أن موت الطلاب الذي حدث مؤخراً «همّ عظيم»، وحث المدارس والأسر والجيران لاتخاذ إجراءات لحماية الشباب، وحث مجموعة حكومية لمعالجة المشكلة بصفتها واحدة من المشكلات التي تحتاج إصلاحاً منظماً، وهذا من الأولويات السياسية لرئيس الحكومة شينزو آبي Shinzo Abe.

وقد أرجع وزير التعليم بونمي ابيوكي Bunmei Ibuki الأمر إلى تدني المستوى الأخلاقي قائلاً: «يجب أن نبحث عن وسائل لإعادة العلاقات والروابط بين الأسر والمجتمع، التي تواجه حالياً ضعفاً كبيراً، وأشار إلى أن اللوم يوجه كله حالياً على الأساتذة». وأضاف: «إن مؤشرات الانتحار يتم إهمالها بسبب ضعف الروابط الأسرية واللامبالاة بين الجيران». ومن الحوادث التي ذكرها الخبر:

- اثنان قتلا نفسيهما يوم ١٢ نوفمبر، وثالث شنق نفسه في منزله في مقاطعة سايتاما Saitama.
- ألقت فتاة عمرها ١٢ سنة نفسها من بناية سكنية.
- هناك ثلاث حالات لطلاب أرسلوا رسائل يهددون بأنهم يخططون للانتحار، وهناك تسع رسائل من هذا القبيل، وتم الاتصال بمرسليها لمنعهم من الانتحار.(١)

فمن يعلم الشعب الياباني أو الشباب الياباني هذه القيم والمثل؟ فيستطيعوا القضاء على ظاهرة الانتحار؟

---

(١) تعليق: من يعلم اليابانيين حق المسلم على المسلم، واحر قلباه!! وا أسفاه!! كيف نصل إليهم ببعض ما لدينا من تشريعات عظيمة في التعامل الاجتماعي، وأذكر هنا بعض الآيات والأحاديث لعل أحداً يترجمها ذات يوم إلى اليابانية:

- قول الله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٢٩).
- قول الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة (٥٤)
- قول الله عز وجل: ﴿عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾.

انظر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر).

وقوله: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) وكلمة طلق أوسع بكثير من التبسم الذي ورد في حديث آخر (وتبسمك في وجه أخيك صدقة)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم، قالوا بلى قال أفشوا السلام بينكم).

ومن حق المسلم على المسلم أن يناديه بأحب الأسماء إليه. أما السخرية فقد نهى عنها القرآن الكريم في سورة الحجرات في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾. ونهى الإسلام أن يروّع المسلم أخاه المسلم ولا أن يأخذ من ماله شيئاً إلاّ بطيب خاطر حتى لو كان عوداً من أراك.

- **الخبر الخامس: المستشفيات تخسر الحرب ضد الالتهاب** The Daily Yomiuri في 25 نوفمبر 2006م.

سجلت المستشفيات ارتفاع حالات الموت بسبب الالتهابات التي سببها جراثيم مقاومة للمضادات الحيوية، ويدعي الخبر أن اليابان ينقصها الخبراء المتخصصون في التعامل مع هذه الحالات، وحالات الالتهابات هذه تحدث في المستشفيات. ويقول أحد أساتذة الطب في جامعة يابانية: إن رقم هذه الحالات مرتفع جداً.

- **الخبر السادس: التعامل مع الموت على الطريقة اليابانية**

هذه مقالة طويلة قرأتها مرة ولم أحب قراءتها مرة أخرى؛ لأنها تتعلق بالطرق التي يتعامل فيها البعض مع الموت، ولكنها تشير إلى أنواع التخلص من جثمان الميت، ومن الطرق التقليدية عندهم الحرق، والدفن على الطريقة المعتادة في باطن الأرض، ولكن الأراضي قليلة ولا يمكن عندهم دفن أكثر من شخص في مكان واحد، ولابد من شراء تلك الأرض. وتتحدث المقالة عن الطقوس في عملية الدفن، واستئجار البعض لشقة ليجتمع بها المعزون والأقارب، ويتحول الأمر إلى جلسة اجتماعية وضحك وسخرية، وربما كانت الاحتفالات من ماله، فيأكل الجميع ويسمرون وهو يحاسب عن تلك الأموال!! أو كما يحدث عندنا يتبرع كريم من الأقارب والأحباب ويجتمع الناس ليسمروا ويتسلوا!!

خديجة وهاشم ومازن سياحاً

كم سمعت أمي تردد (من أحبه ربّه جعله يشاهد خلقه) وبالعامية (ورّاه ع خلقه). فهل السياحة من هذا الباب؟ أعرف أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا أحب الله عبداً فقهه في دينه)، ولعل مشاهدة الكون نوع آخر من الحب، لم أسأل أمي عن هذا الأمر فقد كنت قليل السفر لأسباب لا أبيح لنفسي أن أذكرها الآن، على الرغم من أنني عملت في الخطوط السعودية ثنتي عشرة سنة.

صحيح أنني جئت إلى اليابان بدعوة من المؤسسة اليابانية لإنجاز عدة مهمات علمية، ولكنهم حرصوا على أن تكون السياحة والتعرف على معالم البلاد جزءاً منها. وها أنا ذا أقدم بعض الفقرات عن الأنشطة السياحية التي استمتعت فيها برفقة هاشم وخديجة، وكان من الاستمتاع الانزلاق في جو ممطر وعلى أرض خضراء وأنا أحمل هاشم، ولكن كانت سليمة والحمد لله!! كان اليابانيون يخافون أن يمرض هاشم أو أمه في أثناء الرحلة، فمن يتحمل نفقات العلاج؟!!

إن التفكير العقلي يؤيد كلامهم، ولكن نحن قوم أمرنا مختلف نوعاً ما، فعندنا قدر من التوكل والحمد لله.

المهم تضمنت الرحلة عدداً من الأنشطة السياحية، وفيما يأتي شيء منها:

- برج طوكيو www.tlkyotower.co.jp

حرصت مرافقتنا على أن نزور الأماكن التي تظهر التقدم والتقنية اليابانية، ومنها برج طوكيو وهو معلم، سياحي مهم، وأذكر أنني كنت في باريس في فصل الصيف قبل أعوام وكان عليّ أن أقف في طابور طويل لصعود البرج عن طريق المصاعد، فقررت أن أترك الفرصة، ولكني قبل ذلك صعدت، وفي عام ١٤٠٤هـ(١٩٨٤م) صعدت إلى الدور الثاني من البرج من خلال السلالم، وكنت أرى عجائز يصلون إلى أعلى البرج صعوداً على الأقدام، وهذا البرج لم يكن مزدحماً ربما لأنه كان موسم الخريف أو ربما كنّا في أحد أيام الأسبوع. أما معلومات البرج فيصل ارتفاعه إلى ثلاثمائة وثلاثين متراً (٣٣٠م)، خصص الجزء الأعلى منه للإرسال التلفزيوني لأشهر محطات التلفزة اليابانية NHK التي تضم محطة تعليمية، وقناة أساهي وقناتي فوجي وقناة TBS ومحطة الفناء العالمية NTV وتلفزيون طوكيو وقناة جامعة الهواء، ثم مرسل القنوات الرقمية، وبعد ذلك محطة الأرصاد الجوية والراديو.

وعلى ارتفاع ٢٥٠ متراً يوجد برج الملاحظة، وهو المكان المسموح للجمهور أن يصعد إليه لقاء رسوم معينة، حيث يمكن مشاهدة جبل

فيجي أعلى جبال اليابان، وجبل تسوكوبا Tsukuba وفي الليل يمكن مشاهدة أضواء طوكيو اللامعة.

ويزن برج طوكيو أربعة آلاف طن، وهو أعلى من برج إيفل في باريس الذي يزن سبعة آلاف طن، وسبب الفرق في الوزن التقدم التقني في صناعة الصلب. أما عدد الموجات التي تبث من برج طوكيو فهي ثلاث وعشرون، منها أربع عشرة على نظام الأنالوج أو الموازي، وتسع منها رقمية، وهذا يدل على أن معظم محطات التلفزة في طوكيو تبث من هذا البرج.

وعدد الكشافات أو مصابيح الإضاءة الضخمة فيصل إلى مائة وستة وسبعين مصباحاً (١٧٦)، ويستخدم اللون البرتقالي شتاءً، واللون الأبيض الفسفوري في الصيف، ليزيد من متعة المارين.

- المعبد الذهبي: روكون جي The Golden Pavilion واسمه الشائع هو: كنكاكو Kinkaku، ويطلق على المبنى الرئيس للمعبد روكون جي، وقد كان المسكن الخاص لكنتسون سايونجي KintsuneSaionji، وقد تنازل الشاجون (لقب ملوك اليابان: في فترة من تاريخها) عن الحكم سنة ١٣٩٤م وبعد ثلاث سنوات بدأ في بناء هذه الفيلا التي أصبحت معبداً بعد موته بناء على وصية منه. ويقع المعبد في منطقة جميلة من التلال الخضراء والسواقي والجداول، ويتكون هذا المعلم من الأشياء الآتية:

- بوابة على الطراز الصيني.
- منطقة سكن رجال الدين.
- جزيرة أشيهارا Ashihara.
- المعبد الذهبي.

- بيت الشاي وهو مكان تقليدي لشرب الشاي الياباني، واليابانيون مغرمون بالشاي، وله طقوس كثيرة وأوان خاصة، ومن أنواع الشاي الشاي المسحوق، ولا أجد تشبيهاً له إلاّ مثل الملوخية الجافة عندما تغلى يشببها في القوام واللون، ويختلف في الطعم، ويشرب في أغلب الأحيان من دون سكر. ومن غرام اليابانيين بالشاي أن لديهم آلات تبيع الشاي الساخن جداً في أوان معدنية أو بلاستيكية. وترى قوارير الشاي مع سائقي التاكسي ومع ركاب القطارات وفي كل مكان، وراودتني نفسي أن أشرب مثلهم ذلك الشاي، ولكني بقيت متردداً ولم أفعل.

- قصر الشاجون: وهو قصر مبني من الخشب، وله بوابة خشبية منحوتة عليها رسوم وتماثيل. ويتكون القصر من عدة حجرات واسعة، جزء منه سجن للأعداء مصور على جدرانه حيوانات مفترسة كالنمر الذي تخيله الرسام -اليابان ليس فيها نمور-، أما الحجرات الأخرى فمنها حجرة يستقبل فيها الشاجون ضيوفه، وفيها يظهر كيف يجلس الشاجون بعيداً عن ضيوفه، ويخدمهم صبي صغير، وللوزراء مكان خاص في القاعة، كما أن الجدران التي تفصل القصر عن الحديقة مغطاة بالورق، الذي يمنع الشمس ولا يمنع الضوء، وهو إبداع جميل ليتنا نتعلمه في هذه البلاد التي تحرقنا فيه الشمس، فنغلق النوافذ ويضيع علينا ضياؤها.

الطرق السريعة اليابانية والهدوء: تعجبت من الأسوار التي تحيط الطرق السريعة، فسألت عنها، فإذ بها أسوار مانعة للأصوات، وقد بنى اليابانيون آلاف الكيلومترات من الأسوار حول الطرق السريعة لتمنع

الضجيج من الوصول إلى المناطق السكنية. فهل بناء هذه الأسوار من الترف؟ هل أخذ بهذه الطريقة غير اليابانيين؟ ومسألة الهدوء مهمة لدى اليابانيين، فقد علمت أن مطار هيروشيما عندما كان قريباً من المدينة كان العمل فيه محدداً بساعات معينة، حيث لا بد أن يقفل أمام حركة المرور، وأعتقد أن هذا الأمر موجود في أمستردام، فلا يمكن أن تهبط طائرة بعد العاشرة ليلاً، ولا تقلع قبل السابعة صباحاً. ولذلك فهم في هيروشيما بنوا جزيرة بعيدة عن العمران، وأسسوا فيها مطاراً مفتوحاً أربعة وعشرين ساعة.

وقفات شعرية: عندما أدون مذكراتي عن الرحلات أحب أحياناً أن أقطع الحديث بتدوين بعض الأبيات الشعرية من محفوظاتي، وفيما يأتي بعضها:

وإني لأهوى النوم في غير حينه
لعل لقاءً في المنام يكون

xxxxxxx

دع المقادير تجري في أعنّتها
ولا تبيتن إلاّ خاليَ البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها
يغير الله من حالٍ إلى حالِ

xxxxxxx

إذا أقبلتْ باضَ الحمامُ على الوتد
وإذا أدبرتْ بالَ الحمارُ على الأسد

xxxxxxx

لا أتّقي حَسَكَ الضغائنِ بالرُّقَى
فِعْلَ الذليلِ ولو بقيتُ وحيدا

لكنْ أُجَــرّدُ للضغائنِ مثلَها
حتى تموتَ وللحَقُودِ حَقُودَا

xxxxxxx

وأوسع الأمر ما للمرء فيه هوى
سَمُّ الخَيَاطِ مع الأحباب ميدان
وأضيق الأمر ما للمرء فيه جوى
صَدْرُ الجِنَانِ مع الأعداء ميدان

xxxxxxx

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى
وإني وإيــاهــا لمختلفان
تحن وتبدي ما بها من صبابة
وإني لــولا الأســى لقضاني

obeikandl.com

قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية من اليابان

وفيما أنا أراجع دفتر المذكرات عن اليابان عثرت على عدد من الموضوعات التي يمكن أن تلقي الضوء على الحياة الاجتماعية في اليابان، وفيما يأتي بعض هذه الموضوعات.:

تجارة الجنس في اليابان : Japan Times, November 26,2006

من المشكلات التي تواجهها اليابان ممارسة الفتيات دون سن العشرين لأنشطة جنسية مختلفة، فقد أورد الخبر أن فتاة عمرها ثنتا عشرة سنة من مقاطعة كاناجاوا Kanagawa اختفت من منزلها، وعُثر عليها بعد أربعة أيام بصحبة رجل عاطل عمره ٣١ سنة في فيللا تملكها الأسرة تم الاتصال بينهما من خلال الإنترنت. وقد اتهم الرجل باحتجاز فتاة قاصر، وتساءل كاتب الخبر: هل هذه الحادثة نادرة أو إنها شائعة؟ وأضاف: إن الآباء والأمهات والمعلمين لا يدركون الأفكار الشيطانية، التي تتم برؤوس الصغار حين يسمحون لهم بالاتصال عن طريق الكمبيوتر والتلفون النقال دون رقابة.

obeikandl.com

وهناك مجلة أسبوعية جنسية أبدت شعوراً بالدهشة من تغلغل الممارسات الجنسية بين الشباب دون العشرين بحثاً عن المال، وأوردت المجلة السبيل إلى ذلك بأن الفتيات يضعن إعلانات يعبرن فيها عن استعدادهن لالتقاط مناظر خليعة لهن مقابل بعض المال، وقالت إحداهن: إن مصروفها محدود فهي تبحث عن زيادة مصروفها -قرأت في الصحف المغربية أن فتيات مغربيات يفعلن الأمر نفسه-. فمن المديرون لمثل هذه الشبكات في أنحاء العالم، ألا من دولة تحاربهم؟!! وقالت فتاة أخرى: «والداي لا يهتمان بي فلماذا أهتم بما يحدث؟». وقال الدكتور كوجي ماروتا Koji Maruta عالم الاجتماع ومؤلف كتاب (البنات اللاتي يمارسن البغاء والرجال ذوو عقدة اللوليتا): إن صناعة الترفيه والمجلات الأسبوعية تروج لنموذج لوليتا (الفتاة الصغيرة دون الخامسة عشرة التي تمارس الجنس مع رجل أو رجال كبار في السن)، حيث تقدم هذه الوسائل صور الفتيات الصغيرات في أوضاع خليعة. إن هذه الصور تثير غرائز الرجال، الذين يعانون أدمغة منحرفة، وتسيطر عليهم فكرة المتعة مع الصغيرات. إن هذا يؤثر في المجتمع كله».[1]

متاحف يابانية: كان من بين تركيز إحدى المرافقات لنا في هذه الرحلة أن نزور المتاحف، وحرصاً على الاهتمام بالثقافة اليابانية فقد زرنا عدداً من المتاحف ومنها المتحف المسمى: شيتا ماشي Shita Machi، وهو متحف خاص بحياة الناس العاديين في اليابان، ونظراً

(١) أود أن أضيف: هل من جهة تدرس القنوات الفضائية العربية التي تتزايد أعدادها يوماً بعد يوم، ولا يهمها إلاّ نشر ثقافة الخلاعة والعري والخنا والفجور؟ فهل ينتظرون أن يصبح شبابنا جادّاً ويسعى للبناء وهذا هو زاده؟!! متى ينتادى الشرفاء من هذه الأمة لوقف هذا الفساد الكبير؟!!

لأن اليابان كغيرها من مجتمعات العالم ففيها شيء من الطبقية. وهذا المتحف يقدم حياة طبقة الحرفيين، حيث يقدم المتحف مساكن الحرفيين وأدواتهم وبعض منتوجاتهم. ومن الحرف التي اطلعنا عليها حرفة النجارين والحدادين، وكان هناك عدد من الألعاب الخشبية، وبعض تلك الألعاب كان معروضاً للبيع، وهي غالية الثمن ربما أولاً لأنها تراثية وتقديراً لصانعيها، وثانياً لأن مستوى المعيشة في اليابان مرتفع أكثر بكثير مما يستطيعه أستاذ جامعي ليس له إلاّ الراتب المتواضع. وبمناسبة الراتب فقد فكرت ذات مرة أن أدفع بقشيشاً أو إكرامية لمن حمل حقائبي أو من حملت الحقائب في الفندق، ففكرت كثيراً في قيمة البقشيش، ثم تساءلت: ومن أنا لأدفع بقشيشاً؟ فهذا العامل يرتدي حذاءً تعادل قيمته أكثر من قيمة الأحذية التي اشتريتها في السنوات الخمس الأخيرة (علماً بأنني أشتري فقط عندما تصل التخفيضات إلى أكثر من سبعين في المائة)، فتراجعت وترحمت على حال الأستاذ الجامعي عندنا. وأضيف: لقد فكرت أن أبحث عن وظيفة تدريس ولو لفصل واحد، لأتذوق راتب الأستاذ الجامعي في دولة من العالم الأول.

متحف هيروشيما للسلام:

تستحق مدينة هيروشيما حديثاً مفصلاً، لقسوة ما تعرضت له بإلقاء أول قنبلة ذرية في العالم، وهدمت عن بكرة أبيها، توضح قسوة الأمريكي ووحشيته، وهو ما يراه البعض دليلاً على قسوة الحضارة الغربية ووحشيتها. وقد استمعت ذات مرة إلى الدكتور علي المزروعي -من كينيا وأستاذ العلوم السياسية في العديد من الجامعات الأمريكية

وله موقع خاص في الإنترنت- في محاضرة في إحدى دورات الجنادرية عن الهمجية الغربية، وأن هذه الحضارة تتسم بالولع الشديد في سفك الدماء والتدمير. ويكفي ما فعلته أوروبا وأمريكا بألمانيا مثلاً، وما فعله الألمان في فرنسا وبريطانيا. وقد زرت برلين ولا تزال بعض آثار تدمير الحرب العالمية قائمة في وسط برلين الغربية.

تساءلت: لماذا ضربت أمريكا مدينة هيروشيما؟ ومتى ضربت المدينة؟ وكم عدد القتلى الذين وقعوا من جراء تلك القنبلة؟ وما آثار الجريمة حتى اليوم؟

بدأت المرافقة تتحدث عن هيروشيما قبل القنبلة، فقالت: كانت هيروشيما مدينة العلم والحربية، فقد كانت مزدهرة بالعلم من حيث الجامعات والكليات والمعاهد، وقد كان يفد إليها الطلاب من جميع أنحاء اليابان. كما أن المدينة كانت مزدهرة من الناحية الحربية؛ فهي مقر الفرقة الخامسة من الجيش الياباني. وهذه الفرقة من الفرق التي دخلت الصين وقامت باحتلال بعض مقاطعاتها. وفي ذلك المتحف يظهر اليابانيون بشيء من الفخر إنجازات تلك الفرقة في إخضاع بعض مقاطعات الصين. لا أدري هل يغضب الصينيون لذلك أو إن لديهم أيضاً ما يفتخرون به من طرد الاحتلال الياباني؟

كانت أمريكا تعد العدة لضرب العديد من مدن اليابان غير هاتين، ولكنها قررت في النهاية أن تكون الضربة موجهة لمدينتي هيروشيما وناجازاكي. ولذلك امتنعت أمريكا عن ضرب المدينتين، وكما قالت مرافقتنا وذلك لتقدير الدمار الذي ستحدثه القنبلة الذرية حين

إلقائها. ألقيت القنبلة على هيروشيما يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥م، وكان التدمير هائلاً حتى لم يبق سوى بقايا هيكل حديدي لمبنى للتبادل التجاري التي قامت الدنمارك أو مهندسون دنماركيون بتصميمه. ويمكنك من خلال الجولة في المتحف أن ترى مراحل ضرب المدينة، وكثيراً من المناظر المؤلمة لمن أصيبوا في الكارثة، وبعض القصص العاطفية لنساء وأطفال وشيوخ كبار أصيبوا من جراء الانفجار.

وكان من بين الأحاديث التي تبادلتها مع بعض اليابانيين عن الخطر الكوري الشمالي، وكيف أن اليابان ليس لها جيش وإنما تعتمد على القوات الأمريكية على الرغم من إقرار البرلمان الياباني إنشاء وزارة دفاع. وكأن اليابانيين مروا بسنوات طويلة من التأثر بالدعاية الأمريكية أو الحرب النفسية أنه لا ضرورة لوجود جيش، فالقواعد الأمريكية والجيش الأمريكي يمكن أن يحمي اليابان. وكان موقفي أن الأمريكيين لن يكونوا أكثر إخلاصاً من اليابانيين في الدفاع عن اليابان. ولا يعترف التاريخ لدولة دون أن يكون لها قوة. وقد ذكرت لأحدهم المثل العربي (لا يفل الحديد إلاّ الحديد). ولكن سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية حولت اليابانيين إلى شعب مسالم (أكثر من اللازم) حتى عندما يذكر كثير منهم الأمريكيين لا يذكرونهم بغضب، كما نفعل نحن في العالم العربي (معظمنا). أما الانهزاميون والمنبهرون والجاهلون بحركة التاريخ والحضارات، فيرون أمريكا قوة قاهرة لا قبل لأحد بها، ولذلك علينا مسالمتها أو الاستسلام لها.

متحف طوكيو (مرحلة الأدو)

ومن زياراتي السياحية في طوكيو زيارة متحف طوكيو لمرحلة (أدو)، وهو الاسم القديم لمدينة طوكيو، وقد كان يقسمها جسر ضخم من الخشب، وقد أصبح الآن من الصلب والإسمنت، ويتفرع من الجسر خمسة خطوط، ولكن الطريف في خريطة (أدو) طوكيو قديماً أن الحاكم وقصره وحاشيته كانت تحتل أكثر من نصف مساحة المدينة، وعامة الناس يسكنون في بنايات كبيرة من طابق واحد مقسمة إلى بيوت أصغر، وهناك نظام للري جميل تؤخذ المياه من النهر، ولكل مجموعة من المساكن بئر يستقون منها. واسم الحاكم في تلك المرحلة الشوجان.

عاشت طوكيو واليابان مرحلة أغلقت حدودها ومنع المواطنون اليابانيون من الاتصال بالعالم عدا كوريا والصين وهولندا -لا أدري لماذا استثنيت هولندا؟!!

أما طوكيو في مرحلة التطور والانفتاح على العالم والتغريب وأخذ ما عند الأوروبيين فقد اتسمت بالتصنيع، وكانت أول سيارة يابانية صنعتها شركة سوبارو عام ١٩٢٩، وكانت سيارات التاكسي في اليابان في تلك المرحلة حتى عام ١٩٤٩م من نوع فورد، وكانت تسمى سيارة الين الواحد -انخفض الين حتى أصبح الدولار يساوي أكثر من مائة ين- ولعل اليابانيين قصدوا ذلك حتى يستطيعوا ترويج بضائعهم في العالم.

أما اليوم فسيارات الأجرة نوعان، سيارات كبيرة وتبدأ أجرتها من ستمائة وستين يناً، والسيارات المتوسطة وتبدأ أجرتها بستمائة وأربعين ينّاً.

مسرح كابوكي زا Kabuki Za

للمسرح مكانة مهمة في حياة اليابانيين، وهذا المسرح بدأ قبل مئات السنين، تقوم بأدواره فتيات صغيرات، ولكنه تحول إلى البغاء، مما دعا أحد الحكام إلى إصدار أمر ألا يقوم بأي دور في ذلك المسرح إلاّ الرجال، ومن ثم صار الرجال يقومون بالأدوار النسائية، فيرتدون ملابس النساء، ويضعون كل الأصباغ، وقالت مرافقتنا: إن الرجال في هذا المسرح من كثرة قيامهم بالأدوار النسائية تأنثوا، فيا للعجب قالت العرب عن الجمل: (استنوق الجمل) وقال الشاعر:

وما عجبي أن النساء ترجلت

ولكن تأنيث الرجال عجيب

وقصة الكابوكي التي شاهدناها تحكي قضية سياسية، وهي أن أحد الحكام مال إلى امرأة ساقطة، فاضطر إلى ترك الحكم لابنه، ولكن كان ابنه صغيراً، فبدأت المؤامرات من أقارب الملك على السيطرة على الحكم، وفيها مؤامرات على قتل الصغير أو غير ذلك. وتشير المسرحية كذلك إلى صراعات قبلية.